أحمد فؤاد نجم

كلام جرايد

إهداء

إلى تجربة شبابية في مجال الصحافة الوطنية الحرة تجربة هزت الوطن من أقصاه لأنها كانت منحازة إلى الفقراء بلا تحفظات. إلى تجربة الدستور التي أصبحت ملك الناس.. والتاريخ

أحمد فؤاد نجم

تقديم

على امتداد تاريخنا الطويل نشأت بين الشعب المصري وحكوماته المتعاقبة علاقة من نوع خاص.. علاقة أساسها عدم الثقة واللؤم المتبادل فالحكومة تعرف أنها لم تأت إلى مقاعد السلطة عن طريق الحلال ولذلك فهي تحمي نفسها ومواقعها بالطرق التي تراها مناسبة لظروفها ولكنها وفي كل الظروف تزعم إنها تمثل الشعب تمثيلاً ديمقراطيًا حقيقيًا ولا تترك مناسبة تمر دون أن تؤلف أرق قصائد الغزل في سواد عيون الشعب المصري الحبيب! ومن جهة أخرى يعرف الشعب أن هذه الحكومة أو تلك لا تمثل مصالحة الحياتية ولكنها دائمًا في حالة حب ضد هذه المصالح المتعارضة تمامًا مع مصالح مغتصبي الحكم.. والموروث الشعبي المصري زاخر بالمقولات والأمثال الشعبية التي تلخص علاقة الحاكم بالحكومة على ضفتي النيل الخالد وخد عندك – أعمل أبعد إيه في الحكومة ولا توريها من مش عارف إيه؟ – و – الإيد اللي ما تقدرش على قطعها بوسها – و – إن حكمك الندل طيعه.. وإن حكمته أدبه – و – إن كان لك عند الكلب حاجه.. قول له يا سيدي – و – إن كان دراعك عسكري إقطعه – و – يا فرعون إيه فرعنك؟ قال مالقيتش حد يردني – و– إن لقيت بلد بعبد العجل.. حش وارمي له – و – اللي يتجوز أمي أقوله له يا عمي – نظام تلقيح يعني واللي في القلب في القلب وقد اكتسبت الحكومات المعاقبة الخبرة في التعامل مع هذا الشعب اللبط اللي عارف إبليس مخبي إبنه فين وبيستعبط وعامل نفسه مش فاهم حاجة وإوعى تصدق إن الحكومة مصدقة الشعب أو العكس.. الاتنين فاهمين بعض كويس وهارشين بعض تمام التمام بدليل إن أي ريح طيبة تأتي أخبارها من قصور الحكام المدججة يسميها الشعب المصري – كلام جرايد – يعني أونطة لأن الجرايد بتاعة الحكومة لكن لما حصلت تجربةالدستور الناس صدقوها وأقبلوا عليها بشكل أفزع الحكام مع إنهم يملكون كل أجهزة الإعلام الجبارة المرئية والمسموعة والمقروءة التي تسبح بحمدهم ليل نهار وتدعو لهم بطول المكوث على كراسي السلطة وقلوب الناس وقد بلغ بهم الفزع مداه حين قاموا بإغلاق صحيفة الدستور ضاربين بمصداقيتهم الديمقراطية المزعومة عرض الحائط.. يا صديقي القارئ.. مجموعة المقالات التي يحويها هذا الكتاب هي ما استطعت إنقاذه من الضياع لأنني لا أحتفظ بأصول مقالات ضمن مالا أحتفظ به من كل الأشياء.. وإنني إذ أقدمها لك الآن وأرجو أن تتقبلها بصدر الصديق وتقرأها بعين الإنصاف..

أحمد فؤاد نجم

إيه رأيك بقى فهمت حاجة؟

يبدو والله أعلم بما في الصدور إن البلد دي انقسمت هبر هبر. وكل من هبر له هبرة نام عليها وشد اللحاف واللي عاجبه عاجبه واللي مش عاجبه يقولوا له (أمك في العش ولا طارت)، الكلام ده مش كلامي ولو إني موافق عليه وباصم بالعشرة.. إنما الكلام ده وصلني من (أ. د) و (م. ى) وهما شابان أصابتهما حرفة الشعر والعياذ بالله، والمناسبة السعيدة اللي جرجرت مثل هذا الكلام هي عملية الإحلال والتجديد اللي أجراها أخيرًا (الكوتش) جابر عصفور في فريق الأمل المسمى مجازًا بلجنة الشعر تبع المجلس الأعلى للثقافة وأنا عليا الطلاق بالثلاثة شافعي مالكي وأبو حنيفة النعمان ما أعرف إن البلد دي فيها مجلس أعلى للثقافة إلا ساعة تارخيه ويمكن ده اللي كان مريَّحني شوية لكن بعد ما عرفت أجارك الله دماغي زي ما تقول ضربت زي الراجل اللي جاب لمراته اتنين كيلو لحمة تطبخهم وساعة العشا حطت له الطبيخ قرديحي! قال لها: فين اللحمة يا ولية؟ فقالت له لك اسكت مش القطة كلتها؟ قام الرجل ماسك القطة وحطها ع الميزان طلعت اثنين كيلو قالها: طيب آدي اللحمة فين القطة؟ واخد لي بالك يا عصفور؟ فين القطة؟

المهم قال المدعو (أ. د) دي مش لجنة يا أبو النجوم دي جمعية، قلت له: وكيف كان هذا يرحمك الله؟ قال لي: تعرف شاعرة اسمها فاطمة قنديل؟ قلت له: تقصد محمد قنديل. قال لي: فاطمة قنديل قلت له: مكدبش عليك أنا اتخيلت بالإسم ده لكن مقريتش الشعر... هي ليها شعر؟ قال لي: صدر لها ديوان ملوش علاقة بالشعر.. قلت له إسمه إيه..؟ قال لي: صمت قطنة مبللة؟ قلت له انجليزي ده يا (أ. د)؟ قال لي: ولا عربي، قلت له: ما علينا. مالها فاطمة قنديل؟ قال لي: ما هي دي الونج لفت الجديد بتاع فريق الأمل، قلت له: وما وجه العجب في هذا يا هذا، قال لي: انت أصلك مش فاهم الموضوع الست فاطمة دي تبقى هي تلميذة كابتن جابر الكوتش وهو اللي ناقش لها رسالة الدكتوراه قلت له: هي كمان دكتورة..؟ قال لي: وفي الشعر كمان وبعد ما منحها درجة الدكتوراه عمل لها حفلة صغنتوتة في بيته وبعد الحفلة عينها معاه سكرتيرة تحرير في مجلة فصول وبياخدها معاه في كل سفرياته وآخر سفرية كانت معاه في المغرب وانتهى بيها الأمر إلى إنها أصبحت عضوًا فاعلاً في لجنة الشعر بالمجلس الأعلى للثقافة.. يعني انت يا أبو النجوم لو لا قدر الله اتعاملت مع هذه الدولة وحبيت بعد الشر.. بعد الشر تقدم على منحة التفرغ ممكن ست الدكتورة تقول عليك للكوتش ده لا شاعر ولا دياولو وتفرمل لك الموضوع من أساسه قلت له قلت له: بسم الله ما شاء الله دي تبقى المرأة الخارقة بقى؟ قال لي: ولا تنس الرجل الأخضر قلت له اللي هو مين سعادتك؟ قال لي: القط بسبس، قلت له: مش فاهم قال لي: ولا أنا. قلت له: انت فكرتني دلوقتي بإنسان عزيز عليا قوي قضى معايا تلات سنوات في معتقل القناطر. كان طبيب أسنان وكان الطبيب الخصوصي لأسرة المشير عبد الحكيم عامر ولما سقطت دولة المشير خدوه ضمن الأسلاب وشحنوه على المعتقل هيلا بيلا كان راجل طيب جداً بيصلي وبيحل الكلمات المتقاطعة وبيلعب كورة وكان بيحمل ولاء الكلاب للمشير عامر باعتباره وليِّ نعمته، صحيح ماكانش له قضية عامة كل اللي كان قاطع في قلبه إن الناس اللي صنعهم المشير هما اللي طعنوه من الخلف.. ولما طولت حبسته واستغلق عليه الأمر قام دماغه لسع وبقى ماشي ياولداه في المعتقل يردد جملة واحدة (عرص اللي فاهم حاجة في البلد دي) وخرج المسكين من المعتقل إلى الخانكة مباشرة؟ معرفش دلوقتي هو فين أراضيه.. إيه رأيك بقى فهمت حاجة في البلد دي؟

لو عملت كده تاني أنا ح أمشي

المثل بيقول – اللي إيدك مش في قفصه ضربة تقطع نفسه. واللي إيدك مش في مقطفه عفريت يلهفه – وإن كان ع الخنزير الصهيوني بنيامين نتنايهو أنا لا شايف له قفص ولا مقطف نمد إيدنا فيه.. طب أمال إيه؟ هذا السفاح المغرور تمادى في العنجهية والعجرفة وقلة الحيا بشكل لا يمكن السكوت عليه واحنا برضه ساكتين! عشان إيه إن شاء الله؟ الله أعلم ورسوله! تطاول على رئيس مصر وقضاة مصر وشعب مصر وتاريخ مصر على أثر صدور حكم المحكمة العادل بإدانة الجاسوس الصهيوني القذر المدعو عزام عزام وتوالت تصريحاته الاستفزازية وتصاعدت إلى درجة الحمى والهذيان.

مش كده وبس داحنا اكتشفنا من خلال التراشق بالتصريحات إن أجهزة الأمن المصرية قبضت على جاسوس صهيوني قبل الجاسوس عزام أعادته لإسرائيل سليماً معافيً!! ويبدو أن عتاة الإجرام والبلطجة وجدوا فريستهم في الأستاذ محمد بسيوني سفير مصر في إسرائيل فحاصروه بالأسئلة الاستفزازية والمحرجة، وطبيعي أن تأتي ردود السفير متمشية مع سياسة الدولة التي يمثلها لأن دي وظيفته اللي بياكل منها عيش، والأستاذ محمد بسيوني لمن لا يعرفه هو مواطن مصري تشرف ذات يوم بارتداء زي ضابط في قواتنا المسلحة وكان له أيضًا شرف المشاركة في تحطيم أسطورة الجيش الإسرائيلي الذي لا يهزم إبان حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣ المجيدة ثم بعد ذلك كان عضواً في وفد مصر في مباحثات الكيلو ١٠١ الشهيرة وانتهى به المطاف سفيراً لمصر في تل أبيب.

وفي احتفالات السفارة المصرية في تل أبيب منذ شهرين تسربت إلى الحفل – ما تعرفش إزاي – عاهرة صهيونية صنعت مفاجأة غير سارة للسيد السفير الذي استدعي في اليوم التالي للتحقيق معه لأنه غرر بالعاهرة الصهيونية وسقاها حاجة أصفرة واغتصبها!! فيه أوسخ ولا أسفل من كده؟ سعادتك حتقول لي لأ.طبعًا أنا بقى ح أغيظ سعادتك وأقول لك فيه.

يوم الأربع اللي فات كان السيد بسيوني سفير مصر في تل أبيب ماشي بعربيته ما تعرف إن كان رايح ولا جاي فطلعت عليه لجنة وقفته في الطريق ونزلوه من العربية بعد مافتشوه تفتيش ذاتي وبعدين اندارو ع العربية يفتشوها وسيادته واقف في الشارع. كام بقى؟ أربع ساعات.. طبعًا انت مش مصدق! وحياتك ولا أنا.. لكن أهو داللي حصل ونقلته نشرات الأخبار بالعبرية فقط! ليه؟ الله أعلم. لكن أحب أطمنك يا عزيزي المواطن المصري إن سفيرك ما سكتش على الإهانة الصهيونية اللي ضربت كل الأعراف والقوانين الدولية في مقتل، إنما رد عليهم بمنتهى العنف والحسم. عارف قال لهم إيه؟ قال لهم ما معناه لو عملتم كده تاني أنا ح أمشي!!

أي وكتاب الله العزيز هو ده اللي حصل من طقطق لسلامو عليكم يعني لا هو فيلم هندي ولا مسلسل عربي ولا حتى حلم مزعج أو كابوس، دي هي الحقيقة يا مصريين، حقيقة السلام اللي من طرف واحد وزمان كانوا يقوللولنا الحب من طرف واحد بيورث الجنون.. إيه.. لسه ما اتجننتوش؟

كل سنة وانت طيب

رئيسي المباشر إبراهيم عيسى أصدر لي أمر تكليف بالكتابة عن العام الراحل ١٩٧٧ والعام القادم ١٩٨٨.. وأنا من طبعي ما احبش أجيب في سيرة الناس.. ما اللي يروح يروح واللي بيجي أهلاً وسهلاً والحياة جميلة وماشية فل الفل وعلى رأي المثل اليوم اللي يعدي عليك حلو ما تحسبوش من عمرك.. والأيام بتعدنا وأحنا ما بنعدهاش ودا في حد ذاته شيء مريح لأنك لو تفرغت لعدد الأيام الرايحة والجاية تبقى إن شاء الله لا انت رايح ولا انت جاي وتتحول من كائن عاقل ومحترم إلى مجرد عداد والعياذ بالله ولن برضه الأمر مايسلمش من وقفة من الصديق اللي هو الزمن.. إدانا إيه؟ وخد مننا إيه؟

عن نفسي أنا إدتني ٩٧ القدرة على الاستمرار في الحياة بكل ما فيها من حزن وفرح ونجاح وفشل ولأن الحياة منحة جميلة وغالية وجب علي إني اتقدم بوافر الشكر لـ ٩٧ لأنها ما خدتش مني هذه المنحة الرائعة فشكرًا ٩٧ ولو إنك خطفتي مني سعد الله ونوس وسعد الدين وهبة وختمتيها بمحزنة الأقصر لكن على رأي المثل الضربة اللي ما تكسرش الضهر بتقويه والأيام بتعلّم واللي ما يتعلمش م الأيام تحرم عليها عيشته وأنا باحاول اتعلم والجميل في الأمر إني كل ما اتعلم سطر جديد أكتشف إني حمار والحمار النهارده بألف جنيه. فيه أجمل من كده إيه؟ أنا باحب الحياة وباستناها زي العاشق الولهان مابيستني وصال المحبوب.. تروح ٩٧ أستنى ٩٨ تروح ثمانية وتسعين أستنى ٩٩.. عمري ما اتعاملت مع الأيام باعتبارها « خصم » من عمري إنما اللي جاي هو المهم باعتباره إضافة تحمل الدهشة والمزيد من مباهج الحياة وتجاربها وخبراتها ولو حد سألني : ماذا تتمنى ٩٨...؟ح أقول له بالفم المليان أتمنى الحياة نفسها بكل ما فيها.. هو ده شيء بسيط؟ أما ما عنديش أي نوع من أنواع الخيبة والفشل وعشان أرميه على الزمن والأيام وأفضل أقوّق زي أم قويق وألعن سنسفيل الزمن وأعمل زي الأخ عمار اللي يعمل العملة ويمسحها في – الزمن الرديء – ماله الزمن؟ ما هي السنة لسة اتناشر شهر والشهر لسه أربع جمع والجمعة لسه سبع تيام والسبت بيجيب الحد والحد بيجيبا لتتين ونظام الكون ما حصلّوش أي اختلال اللهم إلا خرم الأوزون ودا من صنع البشر والزمن بريء من خرم الأوزون براءة الذئب من دم الأخ يوسف ابن العم يعقوب.. والحياة زي ما فيها نجيب محفوظ وما حدش يقدر ياخد من الحياة اللي هو عاوزه إلا بالخروج على القوانين والخروج على القوانين جريمة تعاقب عليها كل القوانين ما عدا القانون المصري لأن العدالة في جميع الأنحاء المسكونة في الكرة الأرضية بتبقى معصوبة العيون إلا العدالة المصرية اللي كل عين من عيونها تندب فيها رصاصة.. أحياناً مفتحة قوى ومفنجلة قوى لما يكون الخارج ع القانون غلبان زي حالاتي وحالاتكم فتجيبه لو هو رجع بطن أمه! إنما بقى لو هذا الخارج على القانون عنده حصانة برلمانية أو كان النقيب خاله فحاول تنسى وماتشغلش بالك لا بالقانون ولا باللي خارج عليه واشتري دماغك يابن والدي وإن كان عندك عيِّلين ربيهم أحسن لك.. ولازم تفهم إن البلد دي مش بلد أهلك.. انت حيا الله ترس في آلة ولو عقلك ورَّك إنك تزرجن في يوم من ذات الأيام حيغيروك يا حلاوة وفيه زيك مليون ترس يركبوا واحد منهم مطرح سيادتك وانت تترمي في الزبالة والآلة دايره ميت فل وعشرة وحنروح بعيد ليه؟ إفرض إنك عن طريق الخطأ أو الصواب قتلت قتيل وانت مأشفر زي حالاتي وما معاكش أتعاب المحاماة في هذه الحالة المحكمة من باب العياقة حتنتدب لك محامي كحيان خالي شغل يترافع عنك ويوم ما ربنا ينفخ في صورته حيجيبلك تأبيده مع استعمال الرأفة لكن لو واحد من اياهم قتل مع سبق الإصرار والترصُّد حتلاقي معاه في المحكمة كتيبة من ألمع المحامين دكاترة وأعضاء مجلس شعب ومجلس شورى ويجيبوا له البراءة ويرجعوا كمان بالدعوى بالحق المدني على أهل القتيل! ويطلبوا من الصحافة والمجتمع رد شرف! فهمت ولا مفهمتش؟ كل سنة وانت طيب.

غادة إسكندرية؟

أمنا حوًّا عليها السلام بعدما نفضت عن جسدها الجميل تراب القرون العثمنلية بدأت اليومين دول وبكثافة كمية ونوعية تزاحم الزميل آدم في مجال الإبداع الأدبي اللي ظل سيادته محتكره أزمان وأزمان دون أبداًء الأسباب! وكانت الطالبة سهير القلماوي فرجة وعجبة في قاعات الدرس بين أهل الطرابيش في جامعة فؤاد الأول (القاهرة الآن) في النصف الأول من هذا القرن العشرين حيث كان السيد أحمد عبد الجواد مازال يبرم شنباته! وحتى في نهايات الستينيات من هذا القرن العشرين كانت النسخة الاشتراكية المعدلة من السيد أحمد عبد الجواد بتحاول بكل ما أوتيت من قوة تداري اندهاشها أمام بنت مصرية اسمها صافيناز كاظم أثارت الزاوبع والتوابع في صحافة وثقافة مصر المحروسة بجسارة وموهبة يفتقدها أغلب الرجال! وهكذا كانت البنت صافي أيضًا فرجة وعجبة لكن في السر أو على استيحاء! تعالى في اليومين دول واتفرج يا سلام بسم الله ما شاء الله جيش عرمرم من المبدعات يبدأ بنجلاء بدير ولا ينتهيش وحصوه في عينك ياللي ما تصلي على حضرة المصطفى وحابس حابس واشتاتًا أشتوت وبره بره بره أمان والحارس الله وأنا اللي سعدني زماني وعشت الأيام الجميلة الماضية مع إبداع واحدة من بنات حوًّا من خلال ثلاثية جميلة أبدعتها الروائية الفنانة بهيجة حسين بنت جيل السبعينيات صاحبة الانتفاضة الطلابية المجيدة اللي رعبت الكروش وهزت العروش في مصرنا المحروسة وسائر أقطار الوطن العربي السليب والحقيقة إن مشكلتي مع بهيجة حسين روايتها الأخيرة (مرايا الروح) اللي خدتني من نفسي وغرقتني في بحور السحر الحلال وأنا رأيي إن وصف الأدب النسائي لا ينطبق على هذه الرواية بالتحديد لأنها زاخرة بالهم الإنساني العام بكل ما فيه من انتصار وانكسار وعذوبة وفجاجة وأحلام وكوابيس وخوف لدرجة التلاشي وجسارة لدرجة الاقتحام! وكان تصوري الساذج إني بمجرد ما انتهى من قراءة الرواية كل شيء حيروح لحاله وأخرج من الجو النفسي اللي عيشتني فيه بهيجة حسين لكن ما بيقولوا الأخوة الفصحاء هيهات هيهات.

واتحولت المسألة بالنسبة لي مشكلة نفسية ليس لها إلا الدكتور يحيى الرخاوي لكن لما بتيجي بتيجي على أهون سبب زي ما بيقولوا في الأمثال.. أتاري الفرج والمخرج من حيث لا أعلم ولا أدري منين بقى؟ ومن إسكندرية معشوقتي الجميلة الفاتنة.. وإسكندرية على رأي عمنا العظيم بيرم تغيب تغيب وتتقح ومدد يا عم الشيخ سيد يا درويش يا اسكندراني طلعت لي جنية من بحر اسكندرية اسمها غادة فاروق شاعرة عامية موهوبة ومتدفقة ولا شلالات نياجرا الشهيرة بتكتب في العشق والوطن أحلى الكلام وأوجع الكلام لكن يا عيني مش عارفة تنشر فين؟! وهي دي مع الأسف الشديد مشكلة جيل الشباب الضائع من الجنسين فوسائل النشر محجوزة مقدماً وإلى الأبد لأصحاب الحظوة عند المسئولين عن الفكر والثقافة في هذا البلد الأمي التعس.. وبعدما خلصتني غادة إسكندرية من براثن رواية بهيجة حسين دون اللجوء إلى الدكتور الرخاوي كان الود ودي أرد لها الجميل وأساعدها على نشر إبداعها الشعري لكن يا غادة يا بنتي العين بصيرة والإيد قصيرة وعلى رأي المثل الشعبي يا ريت العين كان فيها دموع لكن برضه أنا حاقترح عليكي مجرد اقتراح ويمكن ينفع ويبقى الأجر والثواب على الله إيه رأيك لو تسيبك من مؤسسات الدولة الثقافية وتدلقيها من دماغك وتلمي بعضك وشغلك في شنطة سامسونايت وتاخدي بعضك وتيجي على مصر المحروسة تعرضيه على نصير المظلومين وحصن الخائفين وحاجة المحتاجين الفنانة الكبيرة فيفي عبده فهي الآن يا غادة من أهم رموز الثقافة والفن في مصر المحروسة النوسة كمنوسة واللي يعيش ياما يشوف واللي يعشق الشعر يشوف أكتر.

زعابيب.. زعابيب

فاكرين حضارتكم الزعبوبة اللي قامت بخصوص التجمع الصديدي الصهيوني سيء الذكر والسمعة والرائحة اللي أطلقوا عليه من باب الدلع « مؤتمر الدوحة » وبناء عليه تبقوا فاكرين الموقف المفاجئ والمدهش للقيادة السياسية في مصر المحروسة اللي أدان هذا التجميع ورفض المشاركة فيه، بشجاعة اعتبرها البعض تهورا واعتبرها البعض الآخر – وأنا منهم – مجرد التمرد المصري الأول على سياسة التسلط والهيمنة – الصهيو أمريكانو – منذ توقيع اتفاقيات كاب ديفيد المشئومة.. وطبعًا أكيد حضارتكم لسه فاكرين موجة الارتياح الشعبي لهذا الموقف الوطني المحترم اللي نسي الناس سواد العيش والعيشة! عن نفسي أنا دخلت في الزعبوبة وركبت أجنحة الخيال العلمي فتصورت – خير اللهم اجعله خير – إني قال ماشي في صحرا حفرا جفرا جعان وعطشان وحران وخايف وإذْ فجأةً يطلع لي فارس ملثم لابس أخضر في أخضر وراكب حصان أبيض في ابيض ويقوللي – ما تخافش يا شاطر.. انت مين؟ – قلت له – أنا من مساكن الزلزال يابيه – قاللي – عارفها – قلت له – طب ممكن تدلني عليها ربنا مايرميك في ضيقه – قاللي – وممكن أوصلك بنفسي لو حزرت وفرزت أنا مين؟ – قلت له – الإمام علي كرم الله وجهه؟ – قاللي مش لدرجة الإمام علي كرم الله وجهه – قلت له – تبقى عنتر بن شداد فراس بني عبس – قاللي – ولا عنتر بن شداد – قلت له – أبو زيد الهلالي سلامة؟ – قاللي – برضه لأ – قلت له – الناصر صلاح الدين الأيوبي؟ – قاللي – قربت توصل – قلت له – تبقى ماري جرجس يالئيم – قاللي – إنت غبي – قلت له – غلب حماري يابيه راح رافع اللثام الأخضر من على وشه وقاللي – أنا الدكتور كمال الجنزوري – وراح مترجل من على صهوة جواده وقام واخدني بالحضن وهو بيقول – وحشتني قوي يا شعب – قلت له من بين دموعي – يا حبيبتي يا حكومة ده انت اللي وحشتيني قوي قوي – وقمنا مشبكين إيدينا في إيدين بعض وهاتك يا رقص واحنا طايرين فوق الغيطان وبنهتف وكأننا بنغني بصوت واحد يسقط التحالف الأمريكي الصهويني.. فلسطين عربية.. الجلاء التام أو الموت الزؤام.. مصر والسودان لنا وانجلترا إن أمكنا.. يا أمريكا لمي فلوسك الشعب العربي بكره يدوسك.. عاش الهلال مع الصليب.. يسقط كامب ديفيد – الموت للخونة – شعب عربي واحد وطن عربي واحد.. أنا وأخويا على ابن عمي وأنا وابن عمي ع الغريب.. وفجأة صحت من أحلام اليقظة على زعبوبة رحيل الفارس سعد الدين وهبة أحد المتاريس الوطنية الصامدة في وجه محأولاًت التطبيع الثقافي مع قتلة الأنبياء والأطفال وتصور بعض المتشائمين أو مرض النفوس إن « توتة توتة فرغت الحدوتة » هتبقى شعار المرحلة القادمة ولكن الدكتور فوزي فهمي خليفة سعد وهبة أعلن حال توليه المسئولية أن سياسية سلفه الراحل تجاه التطبيع مع الصهاينة هي موقف مبدئي لكل المثقفين الوطنيين لا يمكن تجاهله أو القفز عليه. وزعقت من عزم ما بي « الله عليك يا مصر » ولكن بعض الخبثاء حاول تكسير مجاديفي وقاللي – ما تفرحش قوي كده ولا انت نسيت الكلام اللي قاله السادات عقب توليه السلطة خلفا لعبد الناصر – قلت لهم خسئتوا سيبوني أفرح يأولاًد الكلب يا بوم يا حدادي يا غربان يا طير يا زهر يا نسمة يا أغصان على رأي المرحوم فريد الأطرش وأنا في عز فرحتي يا باشا انطبق المثل الشعبي « قليل البخت يعضه الكلب ع الجمل » فقت من نشوة فرحتي على الزعبوبة الكبرى اللي هي خبر استقبال فيلة الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر لحاخام بني صهيون! طب إزاي وليه!؟ إحنا ما صدقنا فرحنا يا عم الشيخ مستكتر علينا الجوع والفرحة؟ إيه اللي يخليك تمد إيد فضيلتك الطاهرة لهذا السفاح النجس وتطلع في صورة ربنا هيحاسبك عليها أكيد!..

يا عمي الشيخ القدس عمالين يهودوها حته حتة وبيت بيت وعلى عينك يا تاجر وفضيلتك أدرى الناس بمكر وسفالة هؤلاء القتلة كما وصفهم كتاب الله اللي أقمناك حارس عليه وممكن يستغلوا الواقعة دي لأغراضهم التوسعية الدنيئة وتبوء فضيلتك بذنب القدس الشريف.. تقابل ربنا إزاي؟ وتقول له إيه؟ وهو الذي لا يخفي عليه شيء في الأرض ولا في السماء. يا مولانا المقدس إنت قيمة من أعظم القيم في حياة المسلمين عامة والمصريين خاصة المسيحي منهم قبل المسلم اتق الله فينا وكفاية زعابيب.

اليويو

ياواد يايويو.. يا مبرراتي.. يا جبنة حادقة.. على فول حراتي. أستك لسانك.. فارد ولامم.. حسب الأبيج.. يا مهلباتي. الله يرحمك يا شيخ إمام كان كل ما يحس بوجوده في القعده يوطي على ودني ويقول لي – وجهني عليه – أروح موجهة عليه زي ما سورة المدفع بروح مكيل له.. اليويو.. حلا ويلا شعبان البقال.. ع اللي حاصل في الحواصل.. وكل ماله علاقة بالانتهازية والقوادة السياسية والكذب والخيانة وكأنه واخده مقاولة من أول الليلة لآخرها وصاحبنا قاعد وكأن الكلام مش عليه وزيادة في الفجر يشجع ويسقف ويقول الله!.

بدأت معرفتي باليويو أيام المجلة السياحية الاشتراكية اللي كانت بتصدر عن مؤسسة « الأهرام » أيامها كان مواظب على حضور جلسات الاستماع للشيخ الإمام والهادة لله إنه كان منظر فالسيجار الهافانا في بقه على طول فلما يتكلم يتكلم بألاطه لكن ياكل نص الكلام فيوصلك منه نص الحقيقة فمتعرفش تصنفه هو مع مين أو ضد مين؟ لحد ماجه الزمان اللي الخيانة فيه بقت وجهة نظر وبتجيب أبيج فأسفر عن وجهه القبيح وبمنتهى البجاحة ويبدو أن الخونة بياخدوا ع البجاحة علاوة طبيعة عمل.

وفي معتقل القناطر كنا اتناشر معتقل سياسي محطوطين في زنازين التأديب كافيين خيرنا شرنا وراضيين على رأي عمنا بيرم – رضيت.. ومن يرضى حتى بالعذاب يرتاح – وذات يوم ماطلعتلوش شمس دخلونا الزنازين وقفلوا علينا ولما سألت الشاويش عبد القادر عن السبب قال لي – فيه شخصية كبيره جايه المعتقل – قلت له – مين يعني؟ قال لي – (حمادة) بيه دلوقتي لما تشوفه حتعرفه أكيد – حبتين ودخل حمادة بيه ومعاه زميل تاني دخلوهم الزنازين وقفلوا عليهم من غير مانشوفهم وطبعًا أنا قاعد في الزنزانة ح ابيض أعرف مين دول؟ وبعد عدة محاولات مع الشاويش عبد القادر نجحت في إقناعه بإني أودي لهم شاي وسجاير ينوبنا ثواب وأول ما فتح الشاويش عبد القادر الزنزانة رقم ثلاثة فوجئت بالسيد اليويو في حالة « يرس » لها على رأي محمود اللبان.. مين؟ علي بابا أحمدك يا رب.. ناولته الشاي والسجاير وقلت لعم عبد القادر روح زنزانتي هات الأكل اللي هناك وأول ما الشاويش إداني ضهره قال لي روح لزميلي قول له لو سألوه في التحقيق عن المقصود بكلمة « الطشت » ما يقولش عبد الناصر.. يقول المشير عامر – كان المشير عامر مات طبعًا – وبالفعل بلغ الرسالة لزميله بعد ما اديته الشاي والسجاير ورجعت على زنزانتي وأنا باضرب كف على كف لأن المفروض في اليويو أو المشهور عنه إنه مناضل شيوعي أممي بينما زميله رأسمالي أبًا عن جد.. طب إزاي؟ إيه اللم لم الشامي ع المغربي! دول مش ممسوكين من أتوبيس دول كانوا سهرانين بنسوانهم سوا في ليلة رأس السنة اللي هي عدم المؤاخذة « الكريسماس » وكانوا سكرانين طينة وخرفوا في الكلام أتاري المخابرات بتسجل لهم السهرة.. كانوا سهرانين فين؟ وإيه الكلام اللي اتسجل عليهم؟ ومين اللي نصب لهم الفخ ده؟ هو ده اللي حنعرفه من خلال الحلقات القادمة من مسلسل الجواسيس، بإذن واحد أحد.

استلفاز التفزاز

إوعى تقول لي إنك مش فاهم العنوان.. استلفاز التفزاز يعين إستفزاز التلفاز، لكن لأن الضمير هنا عايد على التلفاز المصري فلازم الكلام يبقى بالمعكوس، لأن هذا الجهاز الملعون عكس حياتنا خلاها بالشقلوب وكأن حد مسلطه علينا أو كأن الحكاية ناقصاه! مثلاً في الشهر الماضي رجاني الصديق الفنان سعيد صالح الحضور معاه في برنامج (حق الجماهير) خلي بالك م الإسم.. حق الجماهير يا سعيد أنا ماليش دعوة بالناس دول قال لي – علشان خاطري – أمري لله حضرت التسجيل في مسرح ميامي اللي هو تبع جوز الست المذيعة صاحبة البرنامج شوف الدنيا منفدة على بعضها إزاي! والحقيقة إن جمهور الحاضرين أضفى على البرنامج قيمة وحرارة كنت متوقع أشوفهم على الشاشة الصغيرة زي ما بيسموها ويمكن من المرات النادرة في حياتي إني أقعد أمام التليفزيون انتظارًا لإذاعة البرنامج المزعوم وأفاجأ بالست المذيعة الضخمة وقد ابتلعت حق الجماهير وكأني باتفرج على برنامج تاني غير اللي حضرت تسجيله!! وكأن كلامي بطبيعة الحال هو الجزء الرئيسي المحذوف مع إنه كان كلام في الفن والثقافة ولكنه في حب مصر لكن أدي أمر الله وادي حكمته.. كتمت الدموع ع القيح وقلت في عقل بالي أنا اللي أستاهل لأني خرجت من داري ومن خرج من داره يتقل مقداره وتوبة من دي النوبة يا تلفاز يا مصري وفجأة حصلت مذبحة الأقصر المجرمة اللي حوجتني أنا وأمثالي للبص في خلقة التلفاز المصري ومذبحة الأقصر في رأي الناس تساوي كارثة خمسة يونيو سنة ١٩٦٧ وكان المفروض والمنتظر والمتوقع أن يكون الإعلام المصري على مستوى الحدث وفوجئ الناس في الشارع بالسيد التلفاز بيتهته وكأن البكم صابه ولجأنا للإذاعات الخارجية من خلال الراديو وسبنا التلفاز المصري اللي يبدو كان منتظر بيان من وزير الداخلية! واللي أكد هذا الاحتمال خبر أذيع مرة واحدة بيقول إن السيد وزير الداخلية سافر بنفسه إلى موقع الأحداث! فصرخت في أم زينب – زغرطي يا لوية – الوزير سافر بنفسه.. شويتين وطلعت لنا مذيعة من عواجيز الجهاز السمان وقالت لنا وللعالم كله إن التلفاز المصري كان هو أول تلفاز في العالم يذيع الحدث من موقعه ولحظة وقوعه وحطت لنا فيلم ما فهمناش منه حاجة واتضح كمان إن اللي مصوره أحد السياح الذين حضروا المذبحة يعني مش هما اللي صوروه.. وذهب وزير الداخلية ومعاه رجالته وعلى رأسهم السيد اللواء مخترع الجهاز الإعلامي الأمني رؤوف المناوي طيب الله ثراه وغفر لنا وله.. مش يتنيل بقي التلفاز الهزاز ويسد بقه وينقطنا بسكاته؟ أبدًا.. من يومين اتنين طلع عليا سيادته باكتشاف جديد مؤداه إن العيال اللي ارتكبوا المذبحة البشعة ما انتحروش لكن ماتوا برصاص الشرطة! وكأن القضية اللي شاغله الناس دلوقتي هي طريقة موت الجناة أما خراب البيوت اللي أصاب ملايين المصريين العاملين في مجال السياحة وبشاعة الجرم اللي أصاب كل المصريين بالخزي والاكتئاب فدي مسائل ثانوية في رأي فلاسفة التلفاز المصري صاحب الريادة العربية في مجال الإعلام والفضاء والكوسة والبامية والملوخية والمذيعات المعمرات المترهلات المتفشكلات ويا ترى يا هلترى ربنا حيتوب علينا من هذا البلاء ولا حنفضل برضه نعاني من استلفاز التفزاز؟ الله أعلم.

الكذب مالوش رجلين

فاكرين سنة تسعة وسبعين لما انقلبت الدنيا عاليها واطيها ومن أقصاها إلى أقصاها وأصابها ما يشبه التخلف العقلي وهي تلهث مبهورة خلف التتابع المحموم لأحداث الثورة الإيرانية؟

فاكرين المذابح الوحشية البشعة اللي اقترفتها عصابات السافاك المجرمة ضد أبناء الشعب الإيراني؟ فاكرين الهروب المهين للمدعو محمد رضا بهلوى شاه إيران المخلوع وصاحب عرش الطاووس المزعوم بفعل الرعب اللي أصابه لمجرد ذكر إسم رجل عجوز فقير (زي حالاتي) هو آية الله الخوميني؟ وفاكرين كيف عاد الإمام الخوميني منتصراً إلى أرض الوطن بعد سبع عشرة سنة في المنفى الإجباري؟ وفاكرين الموقف الثوري الشجاع لحكومة الثورة الإيرانية من فلسطين اللي هي قضية العرب المركزية؟ فاكرين هروب الصهاينة بجلدهم من مبنى ما كان يدعي بسفارة إسرائيل في طهران؟ وفاكرين كيف تحول هذا المبنى فوراً إلى سفارة فلسطين؟

وفاكرين موقف الأنظمة العربية المعادي للثورة الإيرانية بأوامر من واشنطن وتل أبيب؟! فاكرين استضافة السادات للشاه المخلوع ضد مشاعر كل المصريين وكأن أرض مصر المحروسة تحولت إلى مزبلة لجمع النفايات البشرية؟ وفاكرين الحرب الظالمة التي شنها ديكتاتور العراق المريض على الشعب الإيراني الشقيق واستمرت ثماني سنوات دون أي مبرر؟ فاكرين الهجوم الفاجر الضاري اللي وصل لدرجة التكفير من مشايخ بلدنا على كل ما هو إيراني؟ ويعلم الله وحده من هو الكافر الكذاب وفاكرين الإذلال اللي إذاقته الثورة الإيرانية المظفرة لكل أعداء العرب وعلى رأسهم أمريكا أو الشيطان كما كان يسميها الإمام الخوميني رحمه الله؟ أيامها نفخ ريح الغرور المجنون في ودان الخواجة كارتر فقرر تأديب أو إرهاب الثورة الإيرانية فأرسل سرباً من أحدث وأفتك طائرات سلاح الجو الأمريكي في مغامرة مجنونة كان هدفها اختطاف جواسيس أمريكا المحتجزين في سفارة واشنطن في طهران.

وما أن وصلت هذه التجريدة الغاشمة إلى حدود المجال الجوي الإيراني حتى تحولت إلى طيارات ورق تتلاعب بها الريح في كل اتجاه وتجبرها على الفرار فيما يشبه المعجزة؟ وبعدها توالت الألاعيب الصبيانية في عدة محأولات للوقوف في وجه مسيرة الزمن وباءت جميعها بالخيبة والفشل لأن الزمن لا يتوقف، أين نحن الآن من كل هذا؟ وماذا يحدث عندنا وماذا يحدث في إيران اليوم؟

في رأيي أن الانتخابات البرلمانية التي جرت في إيران هي الحدث الأبرز والأهم لعام سبعة وتسعين وعلى مستوى كل العالم ولطالما شكك المشككون في إمكانية فوز التيار المدني العلماني بأي نصيب في هذه الانتخابات بحجة هيمنة القوى الدينية الفاشية على مقاليد السلطة التنفيذية في طهران فجاءت نتائج الانتخابات البرلمانية الإيرانية كصفعة قوية على وجوههم الشائهة معلنة على العالم فوز المدنين الساحق وتشكيلهم للحكومة الجديدة فوراً وقبل أن يفيقوا من ذهول الصدمة أعلنت إيران عن تعيين السيدة (معصومة ابتكار) في منصب نائب رئيس الجمهورية. وبكره وبعد بكره سوف تتوالى خطوات الشعب الإيراني الشقيق على طريق الأزدهار والتقدم ونحن هنا على ما نحن عليه، نشجب ونفتري ونكذب ويعاقبنا الله العادل بانتخابات كمال الشاذلي ونحن في إماكننا « محلك سر » لأن الكذب مالوش رجلين.

وفي بيلا تتوهج السنابل

ما كنتش أعرف إن (بيلا) هذه المدينة الصغيرة المندسَّة على استحياء وسط الدلتا هي اللي أنجبت لمصر المحروسة هذه الصفوة اللامعة من المبدعين وعلى رأسهم يأتي الراحل العظيم الموسيقار محمد الموجي الذي ملأ حياتنا بالنغم المصري الأصيل.

وأيضًا الشاعر الكبير الصديق عبد السلام أمين وشقيقه حلمي أمين نقيب الموسيقيين المصريين وأيضًا الصديق الفنان مصطفى متولي.. دعوة كريمة ومشكورة من صديقي القديم العزيز حسن كرم تلقيتها بإقامة أمسية شعرية في نادي بيلا الرياضي بعد أن نسق مع المسئولين عن النادي هناك وصديقي حسن كرم – يا صديقي القارئ – ينحدر من سلالة الأشراف المنتسبين إلى البيت النبوي الطاهر.

فهو حفيد الشيخ طلحة نقيب الأشراف وخليفة النقيب عم مكرم الذي أطلق اسم خليفته على مدينة كفر الشيخ.. (طلحا) التي تعرف الآن بمدينة كفر الشيخ فقط وكان يوم الخميس الماضي هو موعجي مع لقاء الحب والفن والدهشة التي أخذت بتلابيبي بمجرد دخولي إلى قاعة النادي الفسيحة التي كانت تحتضن معرض الفن التشكيلي والذي يشارك فيه مجموعة من شباب بيلا المبدع في الرسم والتصوير الفوتوغرافي والمعروف أنني بالنسبة للفن التشكيلي أجهل من أجهل دابة ولكن ما رأيته من اللوحات والصور أجبرني على الفهم والإنبهار! ثم انتقلنا إلى حديقة النادي حيث تقام الأمسية الشعرية وفي الحديقة توهجت سنابل الشعر فأضاءت الدنيا من حولي.

مجموعة واعدة من شباب الشعراء وكلهم بلا استثناء يمتلكون ناصية القول باقتدار وتمكن وكأنهم شيوخ محترفون! والمدهش في أمر هؤلاء المبدعين الشبان هو ثقتهم المفرطة في أنفسهم وفيما يبدعون واستهانتهم الواثقة بالتجاهل الإعلامي الرسمي الفج لمواهبهم الأصيلة وكأنهم يبدعون لمدينتهم الصغيرة فقط وليذهب الإعلام الرسمي بأضوائه الزائفة إلى الجحيم ولكنني أختلف معهم في هذا الموقف بالذات، لأن الإبداع بهذا المستوى هو ملك لكل الناس وليس من حق أحد أن يخفيه أو يحجبه عن الناس. وإذا كانت قنوات التليفزيون الإقليمية قد أصابها العمى والصمم وتصلب الشرايين نتيجة الإسراف في تعاطي « الكوسة المصرية » فمن حقها علينا ومن حقنا عليها أيضًا أن نتولاها بالفحص والعلاج حتى تبرأ من هذه الأمراض الخبيثة أو تذهب إلى جهنم وبئس المصير. أما هؤلاء الشباب المبدع في سائر نجوع وقرى وكفور مصر المحروسة فعليهم أن يقاتلو مرتين، مرة دفاعًا عن حقهم المشروع في نشر إبداعاتهم ومرة دفاعًا عن حق الناس في التواصل مع هذا الإبداع الأصيل.

وبعد: إن التناقض الصارخ الذي عشته في بيلا.. تلك المدينة الصغيرة المندسة على استحياء في وسط الدلتا هي ظاهرة عامة يعيشها ريف مصر الحزين الذي يعطي دائمًا، ودائمًا لا يأخذ.. ففي بيلا لا يجد المثقف كتابًا يقرأه أو مسرحًا يرتاده وفي بيلا لا يجد الأطفال حديقة ولا لعبة ولا حتى طفولة يعيشونها وفي بيلا إحساس مرير بالتجاهل الإعلامي الرسمي: وفي بيلا تتوهج السنابل؟.

كمان مرة عشان الحبايب

قال لك حديد في حديد.. أنت تريد وأنا أريد والله يفعل ما يريد.

أنا كنت عازم و التكال على الله إني أحتفل معاكم بتمام الشفا لناقدنا الكبير فاروق عبد القادر اللي عاد بسلامة الله من رحلة المرض اللعين موفور الصحة سليم الشوف عشان ينور صفحات روز اليوسف كما البدر في ليلة تمامه. وأصلّي على كامل النور لكن بعض الحبايب زعلانين ومصممين إني أحط النقط ع الحروف في موضوع كان انتهى من وجهة نظري وبما إني ضعيف أمام الحبايب (فقط) فقد استخرجت من دولاب الذاكرة شوال نقط بحاله لزوم ما يلزم وما لا يلزم كمان.

في موضوع السطو على تراث العم الكبير الراحل فؤاد حداد والذي تصدى له ابنه الشاعر أمين حداد من مبادرة كان ينبغي أن تكون جماعية – بدل تصفية الحسابات وتبادل الاتهامات – حتى تنجح في القضاء على ظاهرة السطو على تراث المبدعين التي انتشرت مع البانجو والإيدز والراقصات الخمس نجوم والحباكين ومليارديرات التهرب من الضرائب التي لا تطول إلا الفقراء من أمة محمد وعيسى وإبراهيم الخليل !

والحروف المطلوب لها نقط من وجهة نظر الحبابيب تتلخص في الأسئلة التالية: ماذا بينك وبين من يدعى نجيب شهاب الدين؟

وكيف سمح الدستور بنشر هذا الكلام ضدك وهو يحتوي على قذف علني صريح؟ وما هو موقفك من قضية سرقة مسحراتي فؤاد حداد؟

وهل ستواصل الكتابة بجريدة الدستور.. بعد ما حدث؟

أولاً: بيني وبين موهبة نجيب شهاب الدين علاقة قديمة قائمة على الإعجاب الشديد والحماس البالغ من جانبي لأنها بالفعل موهبة أصيلة تستحق الإعجاب والحماس من شخص مثلي شديد الضعف أمام المواهب الحقيقية ولقد مارست هذا الإعجاب وهذا الحماس من خلال سلوكيات لا يأتيها إلا عاشق أو مجنون، فمثلاً حين استقبلت نجيب في الغورية بحضن وقلب مفتوحين حذرني البعض من أنه يعمل بوزارة الداخلية وربما يكون مدسوساً علينا! ولكني ضربت بهذا الكلام عرض الحائط ولم أسأله حتى يومنا هذا عما إذا كان يعمل بوزارة الداخلية؟

وفي سنة ١٩٧٤ وأثناء نظر التظلم من أمر الحبس أمام دائرة المستشار العظيم أمين أبو هيف حدثت مشادة حادة بيني وبين ممثل الاتهام الذي أصبح الآن – عقبال أملتك محافظ قد الدنيا – وقد تسببت هذه المشادة في استثنائي من قرار الإفراج بلا ضمان الذي سرى على الشيخ إمام ومحمد علي أما أنا فقد ارتبط الإفراج عني بدفع كفالة مالية قدرها خمسون جنيها.. وبالفعل خرج الشيخ إمام ومحمد علي وبقيت أنا في السجن لعدم وجود المبلغ المطلوب. بعد حوالي ثلاثة أيام بادر المرحوم صلاح جاهين بإرسال قيمة الكفالة إلى زوجتي آنذاك الأستاذة صافيناز كاظم – أم نوَّارة – وتم الإفراج عني بعد دفع الكفالة.. وحين وصلت الغورية وجدت الشيخ إمام ومحمد علي في ثورة عارمة على نجيب شهاب الدين لأنهما أرسلاه للأستاذ رجاء النقاش لإحضار قيمة الكفالة ولكنه أخذ الفلوس من الأستاذ رجاء واختفى.. وكان رأي الذين سبق وحذروني ومعهم الأستاذة صافيناز أن هذا السلوك يؤكد اتهامهم السابق لنجيب وكان رأي الشيخ إمام ومحمد على إنه ولد خسيس وحرامي وإنه ما يجيش الغورية تاني! ولكن صممت على اعتبار ما حدث مجرد نكتة – ولتكن سخيفة – وظللت أبحث عن نجيب حتى وجدته وأعدته إلى أحضان الغورية دون كلمة عتاب.

وفي سنة ١٩٧٧ وفي أعقاب الانتفاضة الشعبية المجدية وأثناء وجودي بسجن أبو زعبل بتهمة التحريض على الثورة! اصطحب نجيب شهاب الدين أحد الشعراء ومعهم قصيدة – عصماء – في مدح الرئيس أنور السادات – بطل الحرب والسلام! وأقنع الشيخ إمام بتلحينها ووعده بالمن والسلوى، خلال فتح صفحة جديدة مع السلطة ولكن لسوء حظ نجيب شهاب الدين أو لحسن حظ الشيخ إمام حضر بعض الطلبة أثناء تلحين الأغنية وما إن سمعوا الكلام حتى ثاروا وقالوا للشيخ إمام – كيف تغني للسادات

وهو يعتقل نجم رفيق عمرك؟ – وماتت الأغنية في المهد وطرد نجيب وشريكه من الغورية شر طردة وحين بحثت عنه لأعيده إلى حضن الغورية قيل لي إنه تزوج سيدة روسية وسافر معها إلى.. باريس!!

ثانياً: حين كتبت رأيي في اتهام الشاعر الكبير فؤاد قاعود بالمشاركة في السطو على مسحراتي حداد، قال لي نجيب شهاب الدين إن دفاعي عن قاعود لا يعجبه لأن قاعود من وجهة نظر نجيب صفته ونعته قلت له – أكتب رأيك وستنشره لك الدستور فوراً – وحين قال لي الأستاذ بلال فضل إنه وصله تعليق من نجيب شهاب الدين على مقالي وأن التعليق قد يتأخر نشره للعدد القادم رجوته بإلحاح أن يجد في هذا العدد مكاناً للتعليق الذي قرأته بعد نشره في الدستور وحين عقبت عليه في العدد التالي ختمت تعليقي بدعوة شهاب الدين للرد على صفحات الدستور ولو لم تنشر الدستور رد شهاب الدين لفقدت مصداقيتها كمنبر ديمقراطي يتسع لكل الآراء وفقدت بالتالي احترام قارئها وهو أغلى ما تملك الدستور برئيس تحريرها ومحرريها وعمالها.

ثالثاً: موقفي من قضية السطو على تراث الشاعر العظيم فؤاد حداد تحدده مصلحتي الشخصية إن لم تحدده مبادئي وأخلاقي فأنا أكثر الشعراء الذين تعرضوا للنهب والسطو من لصوص الفكر والإبداع والكفالات – ولقد كنت واضحاً حينما قلت – وإذا كان الشيخ سيد مكاوي يتصور أنه الوريث الشرعي لتراث فؤاد حداد فعليه أن يتحمل مسئولية هذا التصور الخاطئ.

رابعاً: أنا أعتبر الكتابة في الدستور شرفاً لي مادامت تسير في هذا الخط الوطني وتحمل هذا الانتماء لتراب هذا الوطن – وحده لا شريك له – وسوف يظل في عنقي دين لمن تفضل ومنحني هذا الشرف الرفيع.. ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد.

اليويو ٢

نرجع بقى لمسلسل الجواسيس وعلى الله الاتكال. إحنا سألنا في الحلقة الأولى عن أسباب ضبط وإحضار حمادة بيه اليويو مخفوراً إلى معتقل القناطر بصحبة صديقه المليونير النبيل عطعط بيه قابيل!

ممكن بقى تركّز معايا شويه عشان نجيب الحدوتة من طقطق لسلامو عليكو......!

الأول سيادتك حتتساءل – إيه اللي لم حمادة بيه الشيوعي الأممي على عطعط بيه المليونير الإقطاعي؟ ح أقول لك مش النظرية وياريت تخليك في نفسك وتبطل نكش فيما لا يعنيك عشان عدم المؤاخذة ماتسمعش مالا يرضك.. دي يا ابني قدرات استثنائية وهبها المولى عز وجل لحمادة بيه وملك الملوك إذا وهب لا تسألن عن السبب وبعدين انت مستعجل على رزقك ليه؟ ما تسمع وانت ساكت.

ممكن تسألني كانوا سهرانين فين وبمناسبة إيه؟ في دي معاك حق.. كانوا يا سيدي سهرانين في منزل اليويو العامر بمناسبة أعياد رأس السنة وكل سنة وحضرتك طيب.. حتندهش جنابك وترجع تسأل – وفيه إيه لما يسهروا في رأس السنة؟ – ح أقول لك – أصبر على رزقك وما تضربنيش. المشكلة مش في السهرة – المشكلة في الكلام اللي قالوه في السهرة واتسجل عليهم وسمعه الرئيس جمال عبد الناصر بنفسه فأمر باعتقال الأربعة اللي هما حماده بيه وحرمه وعطعط بيه وحرمه برضه.. حترجع تاني تسأل – طب مين اللي سجل لهم؟ وسجلهم ليه؟ وإزاي وصل التسجيل للرئيس جمال عبد الناصر؟ هي دي بقى الحدوتة وأرجوك تركز معايا.. إحنا عارفين إن حماده بيه اليويو كان رئيس تحرير المجلة السياحية الاشتراكية إياها عارفين أيضًا إن الاشتراكية بكل درجاتها كانت موضة على أيام المرحوم عبد الناصر وكانت في نفس الوقت سبوبة لنوعية معينة من اللبلاب البشري المتسلق على كل الجدران في كل الأزمان وسبحان الله كانت الكثافة اللبلابية في ذاك الزمان معششة في مكاتب كبار المسئولين على هيئة مديري مكاتب وكانوا يطلعوا من المكاتب دي على كراسي الوزارة عدل! فكان الشاطر فيهم هو اللي يذاكر الاشتراكية ويضرب بالبق الحنجوري فينول الرضا السامي والثقة المطلقة ويتحول بقدرة قادر من لبلابة لوزير! وطبعًا لم يترك حمادة بيه الفرصة تمر بدون الانتفاع منها فهداه تفكيره الانتهازي إلى فكرة شيطانية وهي تحويل المجلة السياحية إلى مكتب تشغيل وزراء وكله بتمنه! حتقولي لي – إزاي؟ – كان يا سيدي يلطب من اللبلابة من دول مقال في الاشتراكية ينشرهوله في المجلة مقابل معلوم أو خدمة معينة فتروح اللبلابة كاتبة المقال يروح اليويو راشش عليه شوية حنجوري ومطبقه وناشره في المجلة. بحيث إنك ما تقدرش تهرشه فيتهيأ لك إن اللي كاتب المقال ده لا يقل ثقافة ولا أهمية عن المرحوم كارل ماركس ذات نفسه! بأقول لك ابن حرام مصقّي.. القصد ما يمرش أسبوع إلا واللبلابة قاعدة على كرسي الوزارة واقبض يايويو واتمنظر يا حمادة واستوزر يالبلاب! وروح يا زمان وتعالى يا زمان سافر حمادة بيه خارج مصر المحروسة، ووصل لمقر المجلة السياحية مقال اشتراكي من لبلابة ضخمة لنشره كما هو متبع وبمجرد أن قرأه نائب رئيس التحرير استدعى جميع أعضاء هيئة تحرير المجلة السياحية ليقرأه عليهم فاتخذوا قراراً بالإجماع بوضع المقال في مكانه الطبيعي وهو سلة المهملات.. وانتشر الخبر بفعل ومجهود السادة المخبرين واعتبرت اللبلابة الضخمة أن ما حدث هو إهانة مقصودة لشخصها الكريم وحمّلت حماده بيه المسئولية كاملة وتأكدت شكوك اللبلابة بعد عودة اليويو من رحلته الخارجية وعلمه بما حدث وتعقيبه عليه.. ففي جلسة خاصة اشتم اليويو بأنفه الحساسة الارتياح العام لرفض مقال اللبلابة فقال من خلال السيجار – الهافانا – على فكرة.. أنا اللي أمرتهم يرفضوا المقال لأنه دون المستوى – ثم أردف لا فُض فوه – مش معقول كل من هب ودب يكتب في الاشتراكية – ماكانش عارف إنه بيفحت قبره بأيده.

جواسيس إسرائيل أعلنوا الحرب على الدستور! ياهلا ولأن المداسات مقاسات فبرضه الجواسيس. درجات. نلاقي منهم المليارديـر وأستاذ الجامعة والكتبنجي والاستيراد والتصدير والإخراج والتمثيل وتفضل كده تتدحرج لتحت لحد ما توصل لدرجة كمساري فطبعًا سيادتك تندهش.. إيه اللي لم الشامي ع المغربي ويا ترى يا هلترى هما أثناء اجتماعاتهم بيتكلموا عربي ولا عبري؟ وهل بينادوا على بعض بـ يا رفيق والاً يا زميل والاً يا أخ والاً يا أونكل وسبحان الله يا أخي كأنهم تافين في بق بعض كلهم بيتكلموا لغة واحدة، وكلهم بسم الله ما شاء الله متكلمين، وكلهم كذابين وعينهم تندب فيها رصاصة. ولا تنس يا عزيزي كلهم لصوص. والسبب المعلن لحرب الجواسيس على الدستور تافه وملفق واستفزازي يفكرك بحكاية الديب اللي اتحرش بالحمل الوديع أثناء ما بيشرب من النهر: قال له – عاجبك كده ياسي زفت؟ أديك عكرتها عليك؟ قال له – بس انت شتمتني – قال له – السنة اللي فاتت – قال له – بس أنا مولود السنة دي – قال له – يبقى أبوك هو اللي شتمني – قال له – أبويا ميت – قال له – يبقى حد من قرايبك –!

يعني واكلك واكلك! وهكذا الجواسيس اليومين مضروبين على قلبهم ومأيَّرين من الدستور جدًا ومتصورين إنهم ممكن ياكلوها! لأنها حسب زعمهم بتعكر عليهم مزاجهم لاستخدامها اللغة الشعبية البذيئة.. وهي تهمه لاننفيها وشرف لا ندعيه.. إحنا نَبْت هذه الأرض الطيبة واحنا ولاد فلاحينها وعمالها اللي بيخضروها ويعمروها ويحرسوها وهذا شرف لا يُطال.. إيه الغريب بقى في إن إحنا نكتب بلغة أهالينا؟ ولا هي المسألة تلكلكية؟ عمومًا سواء كانت لغتنا هي السبب أو فيه أسباب أخرى خفية فإعلان الحرب علينا من طرف جواسيس إسرائيل هو أرفع وأشرف وسام تحصل عليه الدستور منذ لحظة صدورها وحتى الآن والمثل بيقول – دبُّور زَنّ. على خراب عشه – و –اللي يلعب الدَّحْ ما يقولش أَحْ – وفيه حاجه كما أنا نسيتها. أنا أوردت حكاية الديب والحمل كمثل ومع الفارق في التشبيه فحسك عينك يا جاسوس انت وهو تتصوروا أنفسكم ديابة.. انتوا كلاب الديابة ومداسهم في اليوم الزلق وعمركم ما حتزيدوا عن كده كل ما في الأمر انهم حياخدوا غرضهم منكم ويرموكم في أوسخ صفيحة زبالة.. كذلك جريدة الدستور عمرها ما كانت ولا حتكون حمل وديع في الغابة اللي إحنا عايشين فيها إحنا اتولدنا بسنان ومخالب وعند اللزوم ممكن نخربش ونعض لسبب بسيط جدًا وهو إن صباعنا مش تحت ضرب حد فاهم يا جاسوس انت وهو؟

وابتداء من العدد القادم وبإذن واحد أحد أنا ح أقدمكم للقراء واحد واحد عرايا كما ولدتكم أمهاتكم إن كان لكم أمهات من أصله يا أبناء الأفاعي. وعلى نفسها جنت براقش. وملعون أبوكم جاسوس جاسوس.

اليويو تاني تاني تاني

يرجع مرجوعنا من أول وجديد لمغامرات الفتى اليويو العجيب.. اللي كان يوم تشريفه لعنبر تأديب سجن القناطر نقطة تحول في نظام حياة المعتقلين وعلاقتهم بإدارة السجن اللي كانت سايبالنا السايب في السايب.

ومريحة دماغها من مشاكلنا في إطار اتفاق ضمني يرتكز على القاعدة الذهبية « إعمل مش عارف إيه في الحكومة ولا توريهاش أبصر إيه ».

لكن حضور الكابتن يويو المفاجئ مخفورًا بكتيبة من رجال مباحث أمن الدولة الشداد الغلاظ صحى إدارة السجن ولوايح السجن ورزالات السجن يعني جيته جت على دماغنا خصوصًا وإن كتيبه المخبرين عسكرت معانا في عنبر التأديب ومراقبة وحراسة السيد يويو وزميله الجليل الكابتن عطعوط النبيل ولما سألت الشاويش عبد القادر عن التعليمات بالنسبة لليويو وزميله قالي حبس انفرادي وتكدير وقفل الزنزانة ٢٣ ساعة في اليوم قلت له: ده راجل عيان وممكن يموت هنا يحملوك انت المسئولية، قال لي: طب أعمل إيه؟ قلت له: سبني وانا اتصرف ورحت على زنزانة اليويو وسألته، إنت ما كنتش بتتعالج بره من أي مرض؟

قال لي:؟ قلت له: من غير ليه انت لازم تعيا دلوقتي حالاً ونجيب لك الدكتور بالفعل: تعرف تعيا؟

قال: ما انا عيان بالفعل، قلت له: طب استمْوِت نص ساعة وسيب الباقي على الله.

وسبته وقلت للشاويش عبد القادر أن هاخلصك من البلاوى دي واكُل من بيتنا ودِّيني للمدير وكان مدير السجن أيامها يدعي الكابتن محمد صبحي وهو من أصول تركية وارثا عنها بطء الفهم والغباوة وديه كانت فرصتي وأول مادخلت عليه وطيت على ودانه وقلت له: عايزين نبقى لوحدنا، فقال للشاويش عبد القادر: إنصراف وأول ما خرج الشاويش عبد القادر فضلت اتلفت شمال ويمين وفجأة سألته: انت في حد بيحاربك في المصلحة.

قال لي كتير قلت له: بس كده أبقى أنا فهمت قال لي: انت هتوجع بطني ليه يا نجم؟

قلت له: اليويو.. قال لي: ماله؟ قلت له عايز أعرف التعليمات بالنسبة له قال لي: التعليمات مشددة بتطبيق لائحة التكدير عليه هو وزميله، قلت له: ويموت في الزنزانة وتروح انت في الكازوزة ده عنده ذبحة يا أستاذ وده ابن الحكومة مهما يكون وجايبينه هنا شدّ ودن، لكن لو جرى له حاجة عليَّ الطلاق بالثلاثة.. عبد الناصر يهد منطقة القناطر على دماغكم وديك الساعة كله هايخلع وتشيل انت اللعب كله ولقيت لك وش المدير ضرب بصفار وشفايفه ضربت بياض وقال لي بصوت محشرج: نجم: أنا مش عارف أشكرك إزاي، قلت له: يا عم مفيش وقت للشكر زحلقه على طبيب السجن يتصرف فيه ويتحمل مسئوليته وانت في الخلاعون والسكة غلبت المحلة وكل سنة والبعيد طيب، وشديت على إيده فشد هو كما على إيدي وخرجت إلى العنبر بسرعة الصوت وقلت لليويو: أعمل حسابك انت عندك ذبحة وطبيب السجن جايلك حالاً، قال لي: انت بقول فيها أنا عندي ذبحة فعلاً وأشكرك يا نجم!

وبمجرد مادخل الدكتور كمال أبو العلا مدير الإدارة الطبية لمنطقة سجون القناطر، باب العنبر رحت خاطفه على جنب وقلت له: انت بقى اللي عايزين يشيلوك القفة؟ الراجل ازبهل من المفاجأة وقال لي: في إيه يا نجم؟ قلت له: فيه مصيبة عمالين يلقحوها عليًّا بعض واهي فضلت تتدحرج لحد ما طبِّلت على دماغ سيادتك قال لي: مصيبة إيه يا جدع انت ما تصطبح بالله وتحل عني وفوجئنا بالشاويش عبد القادر يقتحمنا ويقول للدكتور: الأستاذ أحمد كلامه مضبوط يابيه وانتقل الصفار والبياض اللي كان في السحنة وشفايف العقيد محمد صحبي إلى سحنة وشفايف الدكتور كمال أبو العلا وراح خطفني من إيدي وقال لي « فيه إيه يا نجم؟ قول لي الله لا يسيئك ».

الـ.. آلو مرفوع مؤقتاً!

مات التليفون في منزلي العامر بمساكن الزلزال بهضبة المقطم الوسطى. وادي حال الدنيا ولا عزاء للسيدات.. وإن لله وإنا إليه راجعون.

وكان الفقيد العزيز في أيامه الأخيرة يعاني من مرض الزغطة اللعين. وحتى في نوبات صحوة المتقطعة من مرضه العضال كانت الحشرجة لا تفارق صوته المنهك.. وكأنه عدم المؤاخذة بالع خيشة.. يعني على طول يفكرك ببعض مطربي الأغنية الشبابية والعياذ بالله!

ورغم هذا العذاب الميم فقد كنت والله راضياً عن مجرد وجوده بالمنزل من باب – حمارتك العرجا تغنيك عن سؤال اللئيم – واللئيم هنا هو الشيخ محمد السني صاحب « بوتيك الأمانة » اللي هرا بدني ونحل وبرى وخرب بيتي من حيل ما غالطني في أجر المكالمات التي كنت أضطر آسفاً لعملها من تليفونه التجاري قبل أن أصبح (عقبال أملتك) من أرباب التليفونات الخاصة.. ولا فخر.

وليكن معلوماً للخاصة والعامة أن الفقيد كان من النوع الفوري اللي اندفع فيه شيء وشويات.. يعني مش أي كلام.. ومع هذا كان رحمة الله عليه شخصية شعبية محببة لدي الجار ذي القربي والجار الجنب كمان. الكل ماكنش يحلاله الكلام إلا مع المرحوم.. وساعة الفاتورة كع يابو النجوم! وبرضه ماقلناش حاجة.. ما هي الفاتور بتندفع كل سنة.

ومن هنا لآخر السنة يكون ربك خلق في قضاه رحمه.

لكن يبدو والله أعلم إن الحكومة انزنقت في قرشين فميلت على السيد وزير التليفونات بخصوص طلب سلفة أو شيء من هذا القبيل فقرر سيادته بينه وبين نفسه إنه يلم الغلة بدري بدري عشان يفك بيها زنقة الحكومة فقدم ميعاد دفع الفاتورة سنة شهور بالتمام والكمال. كل ده وأنا في غفلة ربنا.. وإذ فجاتن سكت الفقيد! أقلب في أمه شمال ويمين إنه ينطق؟ أبداً.. ما تصورتش إن الموضوع فيه خيانة لأنه كان دايماً يعمل الحركات النص كم دي لأن البت زينت بنتي كانت أوقات دماغها تلسع فتروح رافعه السماعة وهاتك يا رغي مع شخصيات وهمية وأول ما تحس برجل أمها تروح حاطة السماعة غلط فيروح صاحبنا قاطع النفس فنفضل نعالج فيه لحد ما ينطق تاني.

لكن المرة دي ماحوقش فيه أي علاج.. فاضطريت آسفاً لسؤال الشيخ محمد اللئيم وعرفت بعد مكالمة قصية مع إدارة الأعطال إنهم قطعوا الحرارة نهائياً لأني أتأخرت في سداد الفاتورة السرية وهددوني بالويل والثبور وعظائم الأمور إذا تأخرت تاني فأنا كأي مواطن مصري مسالم خدتها من قصيره وقررت إني أدفع الفاتورة بدون مناقشة! و – كام يا عم الفاتورة؟ – قال لي بدون ما يبص لي – الأول تدفع تلتمية وتناشر جنيه قيمة الفاتورة – قلت له – وهو لسه فيه تاني؟ قال لي – أصبر على رزقك.. وبعدين تدفع ميت جنيه وعشرة – قلت بمنتهى الأدب – ودول بتوع إيه سيادتك؟ – راح زاعق في وشي – غرامة التأخير يا خفيف. عشان تحرم تتأخر تاني – ثم أردف باشمئناط – انتو عايزين تاكلوا الحكومة كمان؟ جتكو البلاوي.

وطبعاً دفعت المطلوب من سكات ورجعت على بيتنا مقهور وباقول في عقل بالي – إلهي وانت جاهي اللي حياخد الميت جنيه وعشرة دول يبقى يجيب بيهم دوا لعياله أو قطرة لعينيه أو جزمة للمدام.

والأيام بينما!

إني خيرتك فاختاري.. زوجة. أو أديبة؟ تحت هذا العنوان نشرت مجلة حريت تحقيقاً صحفياً حول المرأة الأديبة ومدى تقبل السيد الزوج والمجتمع الذكوري لممارسة المرأة لهذه المهنة التي طال احتكار الرجل لها دون سبب معروف حتى كتابة هذه السطور ! اللهم إلا إذا كان البعض يرى أن الله جلت قدرته قد ميز الرجل عن المرأة بـ جوز شوارب يقف عليهم الصقر ولهذا البعض أقول إن أنتن صرصار في أي مقلب زبالة عنده شوارب أطول مرتين من شوارب عنتر عبس فارس العربان وشاعرهم الفطحل العتل. والغريب في أمر هذا البلد أن يثار هذا الموضوع وكأنه حدث جلل بعد عشرات السنين من صعود وتألق مي زيادة وزوز اليوسف وسهير القلماوي وكان أغرب ما في هذا التحقيق أو أهم ما في هذا التحقيق هو أن سامية بكري صاحبة التحقيق استطاعت بذكاء شديد أن تستدرج اثنين من الأدباء المشهورين للإدلاء بدلوهما في هذه المسألة.

والحقيقة أنني صدمت بما في دلو الأستاذ محمد مستجاب وهو أديب ظهر فجأة على الشاشة وبسرعة غير مفهومة وقد تشرفت بمقابلته مرة واحدة في منزل الصديق سليمان الفهد – شفاه الله – وقد خرجت من هذه المقابلة بانطباع يؤكد أن الأستاذ مستجاب في طريقه إلى موقع متميز في معسكر التنوير الذي يقاتل ضد الجهل والظلام على أرض هذا الوطن الجميل الذي نحاول جميعاً أن نعبر به بوابة القرن الحادي والعشرين.

يقول الأستاذ مستجاب بعد مقدمه فلسفية تنظيرية لا تخرج منها بأي شيء: إن بعض الأديبات يلجأن إلى فجور التعبير ! جديدة دي طبعاً – ثم يقول لافض فوه – الحمد لله لم أتزوج أديبة! وكان من الممكن أن أرتبط بأجنبية أو حتى واحدة من عبدة النار وأتحملها لكن أديبة لا!

وطبعاً لاينسى أخونا مستجاب في نهاية حديثه الممتع القيم أن يدخل برشه جريئة على طريق النضال فيقول – عم تسألين إذا كان معظم الأدباء والأديبات ينافقون السلطة وحين سألته المحاوره – وأنت ألا تنافقها؟ أجاب مستظرفاً – في الصباح فقط! أما الأديب الكبير صنع الله إبراهيم فقد أثبت من خلال ما جاء في دلوه المقولة الشعبية الشهيرة – الكبير كبير – فبرغم اعترافه بذكورية المجتمعات الشرقية إلا أنه أبدى احتراماً شديداً لشريكة حياته ولنشاطها في مجال الأدب ولم يخجل من أن يعلن على الملأ أنه يستشيرها في كل ما يكتب ويأخذ برأيها باعتبارها الناقد الأول لأعماله الأدبية ولا يملك من يقرأ رأي صنع الله إبراهيم في هذا الموضوع إلا أن يحترم هذا المبدع الجميل – خالي العقد – وسوف تثبت الأيام أن أديبات النيل سوف يروين الصحاري ويحولنها إلى بساتين تتراقص الأطيار على أغصانها وتملأ الدنيا غناء عذباً شجياً يملأ الروح شجناً وفرحاً ويدفع الناس على هذه الأرض إلى مزيد من الإبداع رغم أنف سدنة الظلام والتخلف والأيام بينما.

مش ده يبقى عيب؟

الله يرحمك يا زكي يا عمر.. كان بيقول على مصر المحروسة؟

لما بتكره

تكره موت

واما تحب

تحب صبابة

واما بتحزن

تبقى ربابة

واما بتفرح

يبقى الفرح على البوابة

واحنا بلدنا دلوقتي في حالة « لما بتكره تكره موت » لأن كل المحبين صبابه ماعدلهمش عيش في الزمن ده. وبلاش أقول في البلد دي.

زمان سنة ٨٥ وأنا في الشام قابلت واحد صبابة هناك هو الصديق الفنان الأديب غالب هلسا. قابلته محشور في زمرة المساكين في أفقر التجمعات الفلسطينية في سوريا الحبيبة الجميلة بعد أن أبعد عن مصر « عشق عمره » بتهمة العشق الفاضح لحواري القاهرة وصعاليكها وحواديتها وأرضها ونيلها وسماها وحتى بلاويها « كان بيعشق بلاويها » كان حزين لما قابلته في دمشق وكان مجروح وموجوع وكان مهزوم وعرفت بعدها إنه رفض وساطة كبار المسئولين السوريين بينه وبين الملك حسين اللي كان يتمنى عودة غالب هلسا إلى موطنه الأصلي الأردن كشرط وحيد لتعيينه وزيراً للثقافة هناك؟

قلت له « مادمت تقدر تنفذ برنامجك يا غالب وبإمكانيات الدولة ترفض ليه؟ » ضحك وقالي: برنامج إيه يا أبو النجوم اللي حيحوق في دول؟ أنا خلاص يا نجم رجلي والقبر عايز ألحق أشوف مصر قبل ما أموت وبالمرة أندفن فيها!

ولقد تصورت بعد موت غالب في الغربة أن دي آخر الأحزان: أتاري الأحزان مش لاقيه لها صدر حنون غيرنا إحنا يا مصريين؟؟

واليومين دول طلعوا تقليعه جديدة ومدهشة في نفس الوقت وكبيرة ولذيذة قالك يا سيدي إن المواطن المصري رؤوف عياد مش مصري ازيكوا بقى؟ أتاري عيون الأمن الساهرة وهيه بتتخرب في أضابير التاريخ اكتشفت إن جد المدعو رؤوف عياد التاسع عشر كان أصله سوداني وممكن يطلع قريب البشير أو الترابي رغم إنه مسيحي؟؟ يا ابن اللئيمة يا رؤوووف. شوف لافف منين؟ بس على مين؟ وحياة أمك يا عياد الكلب ما انت قاعد فيها ولا شارب لها ميه بعد النهارده.

إزاي يا ترى؟ أهو ده اللي جرى؟ ومع فنان وطني كبير اسمه رؤوف عياد وشغلته واحد من أهم رسامي الكاريكاتير المعاصرين واسألوا حجازي وبهجت ومصطفى حسين عمد ومشايخ فن الكاريكاتير في مصر المحروسة.

ثم ده يبقى عيب؟ طب بلاش كلمة عيب.. التقليعة الجديدة اللي أنا حكيتها لكم دي.. مش فيها روح الدعابة؟ طبعًا فيها وممكن تعمل منها نكتة.. وممكن يعمل منها مأساة.. وكله بحسابه يا حكومة.. واللي بيشيل قربة مخرومة بتخر على دماغ أمه.

« حزب السبعينيين »

في منتصف الأربعينات من هذا القرن العشرين عبرت قناة السويس باخرة ركاب عملاقة تحمل على ظهرها ضمن آلاف المسافرين معمل الهند ومحررها العظيم المهاتما غاندي، وكان من الطبيعي أن يكون في شرف استقباله بميناء بور سيعد مصطفى النحاس باشا زعيم الأمة المصرية – آنذاك – ورئيس وزراء مصر المحروسة الذي نقل إلى قديس الهند حب الشعب المصري وتضامنه مع شعب الهند الشقيق في نضاله ضد الاستعمار البريطاني المشترك وفوجئ الحاضرون بمعلم الهند يقول للنحاس باشا وبمنتهى البساطة لقد تعلمنا منكم الدرس.

ولم يكن في الأمر شبهة مجاملة لأن ثورة ١٩١٩ العظمى كانت بالفعل درسًا لكل الشعوب المستعمرة ونموذجًا يحتذى حيث انطلق الإبداع الشعبي على سجيته فأتى بالمعجزات وفي نهايات الستينيات من هذا القرن العشرين بدأ طلاب مصر مرحلة الانتفاضات الطلابية التي اجتاحت العالم بعد ذلك بدءًا بفرنسا ونهاية بالأردن الشقيق، وقد اختلف ردود الأفعال السلطوية من بلد لآخر.. ففي فرنسا خرج ديجول مرغمًا من ملابس البطولة المزركشة بالأوسمة وارتدى الكاكي بلا خجل ليواجه زهور مستقبل فرنسا بمدافع ودبابات حلف الناتو ويسقط من على عرش البطولة الذهبي لتردى في مستنقع الديكتاتورية المهين وكانت آخر كلماته – ما حدث قد حدث ولكنني فخور بشباب فرنسا!!

أما في مصر والأردن وماشابه ذلك فقد اختلفت ردود الأفعال السطلوية من حيث أدوات القمع البدائية – وكل برغوت على قد دمه –.

وفي مطالع السبعينيات من هذا القرن العشرين اندلعت من جامعات مصر ومعاهدها أعظم انتفاضة طلابية في تاريخ مصر المحروسة من حيث الحجم والكفر السياسي الناضج فاستقطبت كل القوى السياسية المستنيرة ليس على أرض مصر وحدها وإنما على مساحة الوطن من المحيط إلى الخليج، ولقد كان لنا الشيخ إمام وأنا شرف الالتحام بهذه الحركة المباركة حتى أصبحنا جزاء منها ضمن مجموعة من أنبل المبدعين والمثقفين والذي أذكره عن هذه الانتفاضة المجيدة يملأ مجلدات وأسفارًا وفي مقدمة ما أذكر أن هذه الانتفاضة نسأت وتكونت جنين في رحم كلية الهندسة بجامعة القاهرة تحت اسم جماعة أنصار الثورة الفلسطينية ومن خلال اندماجي بهذا الكيان واطلاعي على كل ما أصدره من بيانات واستماعي لكل مناقشاتهم سواء في المعتقلات أو في مدرجات العلم اكتشفت أن كل الفصائل المشاركة في هذا التجمع الهائل تنتمي إلى الفكر اليساري بدءًا بالناصريين ومرورًا بالقوميين العرب والاشتراكيين الديمقراطيين وانتهاء بالماركسيين على تعدد فصائلهم.

وهذه الأيام عاد فرسان السبعينيات للظهور والحركة من جديد بعد أن تفرقت بهم السبل وسقط منهم من سقط ورحل منهم من رحل وبقى منهم من بقى.. كانت البداية في جمعية التوفيق القبطية بالظاهر حيث التقى الرفاق بعد سنوات التيه العجاف بالأحضان والقبلات والابتسامات والحديث ذو شجون ثم تكرر اللقاء وتكرر وعادت سنوات المجد إلى شاشة الذاكرة بكل ما فيها لتبعث في النفوس أفكارًا طموحة للمستقبل تبلورت في مشروع إنشاء حزب سياسي يحتويهم ويطرح أفكارهم في الشارع السياسي المصري. وأنا لست بحاجة لأن أعلن على الملأ التحامي الفوري بهذا الحزب لحظة إعلانه، ولكن قبل هذا من حقي أن أتوجه بالسؤال لرفاق السجن والحلم على أي أساس اتخذتم هذا القرار الخطير؟ هل انتم متأكدون من أن المناخ السياسي في مصر المحروسة يسمح بنشوء وارتقاء أي حزب سياسي معارض بشكل يمكنه من الوصول إلى مقاعد السلطة من خلال انتخابات برلمانية حرة وحقيقية؟ أم أن السمألة كما قال بعض الناس مجرد نزوة لشغل أوقات الفراغ من باب « القاضي يعمل قاضي »؟ كما أن هناك بعض الخبثاء يقول إن الموضوع برمته لا يعدو كونه جزءًا من صفقة أبرمتها الحكومة سرًا مع بعض فصائل المعارض للبدء في إجراءات المصالحة الوطنية التي نحتاجها الآن أكثير من أي وقت مضى!

ورأيي أن هذا الكلام أبعد ما يكون عن الحقيقة، فحكومتنا الرشيدة مستتبة ومترستقة أربعة وعشرين قيراط ولا يمكن أن تخطر على بالها مثل هذه الأفكار المزعجة.. لأنها مش مزنوقة ومن ناحية تانية ما افتكرش إن مجموعة جمعية التوفيق أو ما بعدها

يمكن أن تشكل أي نوع من أنواع المعارضة أو الرقابة على تصرفات الحكومة. فقط أنا بحاجة ماسة للاطلاع على برنامج حزب السبعينيين إن وجد.

كيولند وخليل؟

من يوم مارينا خلقني وعرفت أميز بين الألف وكوز الدرة وأنا مش قادر أفهم إيه العلاقة العضوية اللي بين المدعو شهر سبتمبر أو أيلول وبين الواقع السياسي العربي؟ لأن الشهر دا بالذات كل كام سنة بيجي ومجرجر وراه مصايب متلتلة؟ سنة ٧٠ من هذا القرن كنا في عز التوهج الوطني وإحنا بنتابع بكل ما فينا من جراح وحزن وفرح آيات البطولة والإبداع العبقري لأبنائنا في القوات المسلحة من خلال حرب الاستنزاف الجسورة اللي جدعت أنف الغرور العسكري الصهيوني الأمريكي وردت للعرب المهزومنين جزءاً من كرامتهم اللي اتبعترت في يونيو (حزيران) ١٩٦٧ وفجأة ضربت الخيانة ضربتها في الظلمة من وراء الظهر شأن أي خسيس جبان.

واتفرج يا سلام على ملك الكوتشينة الهاشمي وهو لعبة وأداة حقيرة في يد الأعداء نفذوا بها ما عرف بمذابح أيلول الأسود، وكان الثمن غالياً وفادحًا مئات الشهداء الأبرار من أبطال المقاومة الفلسطينية وهذه الأمة التعيسة تفقد في لحظة قائدها التاريخي جمال عبد الناصر وهي أحوج ما تكون لتجميع الأشلاء ولم الشمل تحت قيادته هو بالذات بغض النظر عن اختلاف الآراء حول زعامة عبد الناصر ومردودها أو محصلتها النهائية ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وفي سبتمبر سنة ٨١ وسوس الوسواس الخناس ي أذن الرئيس السادات كما سبق ووسوس لسلفه (فرعون موسى الهالك) فقال في عقل باله (أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي) وعنها، وعينك ما تشوف إلا النور وانت عارف يا ابن عمي إن النفس أمارة بالسوء و « سوق على مهلك سوق » وكانت دي هي كلمة السر أو إشارة البداية للجنرال الهمايوني نبوي إسماعيل الشهير بالدموي إسماعيل وزير داخلية السادات اللي قاد أغرب وأضخم تجريدة للقبض على كل مصر شمال ويمين وفوق تحت ووراء وقدام فيما سمى آنذاك بمذبحة الديمقراطية اللي دفع ثمنها فرعون مصر المعظم وكان الثمن حياه وملكه اللي نشفت الأنهار من فوقه ومن تحته ووقع زي ورقة الخريف وأصبح في خبر كان.

وهذا السبتمبر أو الأيلول كان على موعد مع صديقي كيمولندو خليل أو المهندس كمال خليل أحد قيادات الحركة الوطنية لطلبة مصر المحروسة التي تفجرت يتخبط في دهاليز القهر والذل والهزيمة، كان كيمولندو خليل هو صانع شعارات الحركة الطلابية وكان صوتها الجماهيري الواضح القوي، ومرة الأيام وتفرق الرفاق وظل كمال خليل هو لم يتغير فقي ابن فقراء ومثقف شريف يعيش أحزان الوطن ويحلم له بالفرح الآتي:

وفي الأيام الأخيرة كان ليكمولندو خليل رأى في القانون الغريب الذي يسمح للأفندية بتشتيت الفلاحين بعد استلاب أرضهم وتحويلها إلى سوبر ماركت أمريكاني للشيبسي والشويبسي وممكن كنتاكي كمان، وذهب كمال خليل خلف رأيه إلى جوف زنزانة في ليمان طرة وأنا متأكد أن كيمولندو هيخرج من السجن أكثر فقرًا وشرفاً وصلابةً.

لكن اللي محدش متأكد منه هو الإجابة عن السؤال التالي هل يكفي السيد سبتمبر الحالي بحبس كيمولندو خليل أم مازال في الأمور أمور؟.

طظ يا عاشور

حسنة وانا سيدك – أو – شحات وعايز عيش فينو – وحتى يوم ما يتدحدر بيه الحال وربنا يهديه للشغل ويسرح بمشنة فجل ينده يقول – الفجل يا كلاب! – والتركي في الوجدان الشعبي لمصر المحروسة زي اليهودي تمام كائن كريه لأنه مصدر دائم للظلم والأذى والضرر وسبب رئيسي من أسباب التخلف الذي نعيشه علاوة على أنه حليف استراتيجي لكل الرزايا والمظالم اللي ابتلانا بيها الزمن والحكام، وكان أجدادنا على زمن الجبرتي وابن إياس يسموهم – الأعجام – وهؤلاء الأعجام حين احتلوا وطننا تحت رايات الإسلام – المزيفة – لم يتركوا أخضر ولا يابس. ونهبوا أقواتهم عن طريق الضرائب والمكوس التي تفننوا في اختراعها من خلال عملية نهب منظم تذكرك على الفور بما فعله فينا الرزاز، والموروث الشعبي المصري زاخر برزايا الاحتلال العثمانلي التي تحولت بمرور الزن إلى طرائف ونكت لن تسقط من الذاكرة الشعبية منهما طال التقادم. ومن هذه الطرائف « طظ يا عاشور » التي يرددها البعض الآن دون أن يدري معناها وأصل الحكاية أن هذه العاشور كان رئيس الكمين المتمركز تحت بوابة الفتوح لجباية الضرائب على أي بضاعة تمر من خلال البوابة بما فيه ذلك العيش الحاف! والشيء الوحيد الذي كان معفي من الضريبة هو الملح، والملح بالتركية اسمه « طظ » فكان المصريين يعبوا البضايع في الزكايب والقفف ويغطوها بطبقة كثيفة من الملح وأول ما الواحد فيهم يوصل بوابة الفتوح يزعق – طظ يا عاشور – يقول له – عدي – فيفلت ببضاعته من الرزاز التركي، وأثناء ما كان الأمبراطورية العثمانيلة تلفظ أنفاسها الأخيرة ومن باب – يموت الزمار وصباعه بيلعب – قاموا بسرقة لواء الإسكندرون أجمل وأغني منطقة في بر الشام بينما كان حكام سوريا يتصارعون على كراسي السلطة وبقايا الجواري الأمويات! وحين قرر أتاتورك الاتجاه بتركيا نحو أوروبا اختلف الوضع والحجم فلم تعد الأستانة هي العاصمة بل تحولت تركيا بكاملها إلى بلد متخلف وفقير يلعب دور التابع الذليل لأسياده الخواجات! ولين ينسى أحد الخدمات الجلية التي قدمتها تركيا لقوات الغزو البربري للعراق الشقيق.. الأمريكان ممكن ينسوا لكن احنا لأ.. وأخيراً ليس آخر المظاهرة العسكرية المشتركة مع الصهاينة التي أقيمت في مياهنا الإقليمية تحت اسم المناورات المشتركة في غزو شمال العراق الذي قامت به القوات الصهيونية تحت العلم الترك، كل هذا تختزنه الذاكرة الشعبية وتضيفه إلى ما سبق ليتراكم الحدق وتزداد الكراهية وتتأصل جذور الانتقام لكل هذه الأسباب أبهجني بشدة خبر الحكم الصادر مما يسمى بالمحكمة الدستورية في تركيا بحل حزب الرفاة الإسلامي بقيادة نجم الدين أربكان ومصادرة جميع مقاره وممتلكاته ومنع قياداته من ممارسة العمل السياسي لمدة خمس سنوات وإوعى تتصور إني فرحان في حزب الرفاة أو شمتان في المعلم أربكان.. أنا فرحان مقدماً باللي حيحصل بإذن واحد أحد للدولة التركية التي تدعى العلمانية والديمقراطية على طريقة الرئيس السادات وديمقراطية ذات الأنياب وسيادة قانونه الذي لا يطبق إلا على الفقراء وبكره نقعد ع الحيطة ونسمع الزيطة يا تركي بجم ياللي في ظرف سنتين من تاريخه من حتلاقي الـ « طظ يا عاشور ».

شكرًا.. على أبو شادي

يبدو أن الجماعة لسه ماشبعوش؟! وفي الحالة دي أنصح أي مواطن مصري مربوط على الدرجة الترسو إنه يحافظ على دراعه! وأعذر من أنذر الأول ورثوها وكنسوها. ورجعوا قسموها وسرقوها وبعدين خصخصوها وشفوطها! وبعدما كنسوها وسرقوها وخصخصوها وشفطوها رجعوا مصمصوها! ولما بقت ع العضم سنوا سنانهم وأنداروا ع التاريخ واللي عايز يقرأ أو يكتب ياخد الإذن م الورثة اللي هما السيدات (وبعضهن أرامل والعياذ بالله) طب أمال احنا حيفضل لنا إيه؟ وقاعدين ليه؟ ما تقوموا تروحوا.

أنا عدم المؤاخذة بأقول الكلام ده بعد ما قربت الضجة المثارة حول الفيلم – موضع التنفيذ – عبد الناصر.. الدكتورة هدى عبد الناصر المفروض إنها إنسانة مثقفة وانا متأكد إنها هكذا.. لكن لما سيادتك تفجأ بأنها معترضة على الفيلم لعدة أسباب منها مثلاً إنه – ما يصحش يصوروا الرئيس بالبيجامة! مش بذمتك يتبغبغ اللخبطان في تلافيف المخيخ اللي في دماغ سيادتك – ده إذا كان موجود أصلاً – مالحقناش ناخد نفسنا وإذا بالدكتورة برلنتي عبد الحميد أرملة المرحوم عبد الحكيم عامر « المشير » تطلع علينا بعاصفة من الجنون – وكأننا ناقصين –! بتهاجم الفيلم وبتقول عنه بالحرف الواحد – عمل مشبوه انتجته جماعة مشبوهة لأغراض مشبوهة! – كلام كبير قوي في موضوع تافه قوي اللي هو موضوع موقف الزعيم الراحل من زواج المشير الراحل من السيدة المذكورة – أطال الله بقاءها – وبتنفي تمامًا أي كلام يكون حصل بين الصديقين ناصر وعامر حول هذا الموضوع وبتسأل – ومعاها كل الحق – عن الشخص التالت اللي كان لابس اللهم احفظنا طاقية لخفا وسمع هذا الحوار؟ وأنا من باب تهدئة النفوس واختصار الوقت ح اطلب من السيدة برلنتي المثقفة – أيضًا – إنها تمد إيدها الكريمة وتسحب من مكتبها كتاب (الانفجار) للأستاذ محمد حسنين هيكل الصديق الثالث لناصر وعامر أو الضلع الثالث المقدس حتلاقي في أحد فصول الكتاب المشهد التالي تقريباً:

ناصر – انت اتجوزت تاني يا عبد الحكيم؟

عامر – إشاعة تاني يا ريس؟ أنا خلاص زهقت من إشاعات الاتحاد، الاشتراكي وأحسن لي أرجع البلد أزرع وأقلع! بعيد عن دوشة المناصب.

ناصر – انت اتجوزت ممثلة يا عبد الحكيم.

يبقى هو ده اللي كان لابس طاقية لخفا وياريته يسلفهالي أوصل بيها مشوار لحد تل أبيب وارجعها له تاني ولو مخونني أخد عليّ وصل أمانة!

هذا وقد هددت الفنانة برلنتي كل العاملين من فيلم جمال عبد الناصر بالويل والثبور وعظائم الأمور إذا استمروا في إنتاج الفيلم! وأنا مش عارف هي جايبه القوة دي كلها منين؟ ويا ريتها تسلفها لي برضه وتاخد عليَّ وصل أمانة! إيه يا جدعان؟ فيه إيه! إذا كنتم وانتوا خارج السلطة لابسين كاكي ورافعين السناكي في اتجاه الإبداع الفني على وجه الخصوص وبتفرضوا الوصاية على دماغ العالم؟ أمال الله لا يقدر لو بقيتوا في الشلة تاني.. الله أعلم بقى حتعملوا فينا إيه؟ وقبل ما أخلع ح استأذن القارئ المندهش في أن أواجه تحية من كل قلبي للمواطن المصري المثقف الشريف على أبو شادي مدير الرقابة على المصنفات على موقفه من هذه الهجمة المضرية على الرؤوس الكنعانية وإصراره على حماية حق المبدع في التخيل وعدم الارتباط الحرفي بما حدث.. شكرًا على أبو شادي.

كلام تليفزيونجي

وانتهى مولد سيدي (رمضان الكريم) رضي الله عنه، بخيره وشره وكل سنة وإحنا طيبين، وعلى نياتنا، وبعودة لكل عام، وكل مولد والتليفزيون المصري على أحسن مايرام، ولأن التليفزيون المصري المذكور انتقلت ملكيته هذا العام، إيد لايد بعد الفضيحة أم جلاجل اللي أطاحت بالرئيس المزمن لقطاع الانتاج، الراحل العزيز ممدوح باشا الليثي وأتت بالفنان يحيى العلمي فالناس بدأت تقارن وتسأل: « مين؟ فين؟ كام؟ ليه؟ اشمعنى! » ولأن بعض الأصدقاء السذج ما تعرفش ليه؟ بيعتبروني مرجع في السمع والفرجة فقد حاصروني بالأسئلة التي تدور كلها حول مين الأحسن؟ (دحدوحة) ولا (أبو اليحاييح) وعن نفسي أنا بطبيعتي ضد عملية المقارنة من أساسها لإيماني الراسخ بأن مفيش حد زي حد نم وجمال الحياة وغناها في تنوعها المدهش، وإلا ما تبقاش حياة، لكن أنا – في حدود علمي المحدود – أقدر أوضح عدة ظواهر، وأبدي عدة ملاحظات على ما قدمه لنا التليفزيون المصري طوال الشهر الكريم، ولنبدأ مثلاً بالبرنامج الشهير « حوار صريح جداً جداً » اللي أتوقف بالسكتة في منتصف الشهر الكريم بدون إبداء الأسباب! وأنا رأيي إن فكرة البرنامج جيدة، لكن تفاهة الموضوعات والأسئلة والأجوبة حولت البرنامج إلى قعدة نميمة بيتي طرطشت على بعض الناس الأبرياء، وورطت بعض الناس، وكشفت بعض الناس، وكان على رأس المتورطين العرب الكاتب الصحفي الكبير (عادل حمودة)، اللي بدون مناسبة دخل في موضوع شائك ما حدش زقه عليه، وألقى بقدميه في منطقة رمال متحركة، كان بإمكانه تفاديها، حين صرخ في وجه المذيعة « أنا أقدر أقولك ما بحبش أم كلثوم! » واعتبر بعض الناس الطيبين أن الأستاذ عادل حمودة قد استفز مشاعر الملايين من عشاق فن الراحلة (أم كلثوم) خصوصاً وإن ماحدش سأله عن رأيه في الموضوع، والبعض الآخر – وهو الأخبث – اعتبر هذه الجملة من باب التنفيس المأمون العواقب، لأن (أم كلثوم ميته، ولعل مني الحسيني تنتهز فرصة التوقف الإجباري لبرنامجها لتعيد صياغته بشكل يحترم عقول الناس، حتى يبادلها الناس الاحترام.

نيجي بقى للفوازير، اللي هي الملمح الرئيسي لبرامج الإعلام الرضمانية منذ ما يقرب من أربعين عاماً مضت، حيث بدأها في الإذاعة عمنا ومعلمنا العظيم الراحل (بيرم التونسي) ثم تبعه (صلاح جاهين) في التليفزيون، وكانت الفتاة الأولى هي المحتكر الأول، والوكيل الوحيد في مصر والشرق الأوسط، ولكن هذا العام اختلف الوضع ما تعرفش إيه اللي حصل؟ فنانة كبيرة ومتمرسة في حجم لوسي تسقط بسذاجة شديدة في فخ منصوب بذكاء أشد، وتقدم نفسها من خلال أسوأ فوازير في تاريخ التليفزيون، وتخصم من رصيدها عند الناس بكرم حاتمي، وبدون أي مناسبة! بينما استطاعت القناة الثانية اكتشاف الفنان يحيى العلمي لنجمة الاستعراض الشابة (نادين) التي تستطيع – لو هي أرادت – أن تملأ مكان (نيللي) و (شريهان) في التليفزيون، و (نعيمة عاكف) و (سعاد حسني) في السينما، أما المسرح فربنا يرزقه بوحدة تانية ولقد استطاعت فوازير « جيران الهنا» أن تقدم لنا الشاعر (بهاء جاهين) من خلال وجبة طازجة ولذيذة نشم من خلالها رائحة بهارات (صلاح جاهين) الحريفة، فتشاركني الهتاف – عفارم يا بهاء –.. صحيح « ابن عوام ».

أما عن تزاحم وتلاحم المسلسلات فحدث ولا حرج وأنا الحقيقة مش عارف حكاية إسكندرية دي صدفة ولا مقصودة؟ صحيح الكلام عن إسكندرية ما ينشعبش منه وصحيح إسكندرية أجمل وأحلى صبية في الصبايا، لكن إيه علاقة ده برمضان؟ الله أعلم، ويمكن يكون رمضان الجاي وعليكم خير، عن بور سعيد مثلاً، وده برضه مايضرش، وعبدها أكيد حاييجي دور أسيوط والزقازيق وبنها وماله ما حنا قاعدين واللي مستعجل يسمعنا: « كل سنه وانتم طيبين ».

كلينتون يمارس التحرش الجنسي
في بستان البنفسج العراقي

في ليالي الشام البعيدة كنا بنتجمع عليها كل ليلة تقريبًا. وكان مسكني المتواضع السبع بحرات بقلب مجدين دمشق وهو مركز التجمع.. وكان المجتمعون كوكبة من ألمع وأجمل مبدعي ومثقفي الوطن العربي المفخخ بالقهر والخوف والمباحث والحكام. كان فينا المصري والعراقي والفلسطيني والتونسي واللبناني والبحريني واليمني والأردني. الكل كان غريباً ومنفياً في الوطن والكل كان مستوطن حضن سورية الدافئ الحنون. وبالرغم، من وجود نجوم في الإبداع والثقافة العربية أذكر منهم على سبيل المثال.. أبو عادل.. مظفر النواب شاعر المقاومة العراقية الفذ.. وعاشق مصر العظيم الصديق الراحل غالب هلسا الروائي الأردني البارز.. وفنان الجزيرة العربية الكبير الروائي عبدالرحمن منيف.. والكابت المصري المعروف الصديق سيد خميس.. والشاعر السوري نزيه أبو عفش.. وأحيانًا أبو خالد فنان الشعب الفلسطيني العظيم ناجي العلى.. بالرغم من وجود هذه المنظومة شبه المتكاملة من النجوم، إلا أن « بساتني البنفسج » كانت هي نجم ليالينا الأوحد الذي لا يغيب ولا يخبو.. كل ليلة كنت أطلبها من الصديق كوكب حمزة لدرجة أن مظفر النواب كان مسميها – المقرر – يااللا يا كوكب سمعنا المقرر.. ويمسك كوكب العود وبعد شوية تقاسيم ناعمة ينطلق صوته الهامس الموجوع بساتين البنفسج عفت بعيونك. وطاير بالشعر. سرب الحمام.. وأنا مجنون واتطوح غرام.. أنا شوجي بالعراق.. والعراق بعينك الحلوة ينام!.. وحين ينتهي كوكب حمزة من الغناء الباكي يسود الصمت لفترة طويلة يقطعها دائمًا سيد خميس بعبارة – شكر الله سعيكم – فتتقافز الضحكات على استحياء.. وشاعر بساتين البنفسج هو الصديق رياض النعماني أحد الشعراء البارزين في صفوف المعراضة العراقية في المنفى. أما ملحنها ومنشدها فهو كوكب حمزة وما أدرك ما كوكب حمزة ملحن ومغن شديد التفرد. ليس كمثله ملحن وليس كمثله مغن، صقل موهبته بالدراسة المهنية إلى جانب ثقافته العامة الواسعة وتوج كل هذا بموقفه الوطني النبيل.. كان بإمكانه أن يكون فنان الإعلام العراقي الأول أو على أقل تقدير كان زمانه ملعلع في ليالي التليفزيون المصري ومشحتف قلوب العذارى والثياب كما يفعل غيره من مطربي أغاني الفيديو كليب ومشكلة المبدعين في المنفى أنهم يعاملون كالرهائن فإذا تأزمت العلاقات بين وطنهم الأصلي ومنفاهم فهم في أمان وحينما تبدو في الأفق بوادر تحسن العلاقات بين الأصل والمنفى يضعون أيديهم على قلوبهم لأنهم يعرفون أن أنخاب المصالحة ستحتسى في جماجمهم! ولهذا سافر كوكب حمزة إلى الدانمرك وتزوج هناك وأنحب أطفالاً عراقيين من أم دنمركية وبعث لي عن طريق البريد أحدث إبداعاته مسجلة على شريط كاسيت ولم ينس أن يسجل لي المقرر على نفس الشريط وفي مكالمة تليفونية أخيرة سألته:

- اشمعني الدانمرك يا كوكب؟

قال لي: لأنها بلد أوروبي لا يخضع لنظام المقايضة العربي.

قلت له:

- طب ماتيجي مصر

ضحك وقال لي:

- هل تخلت مصر عن عروبتها؟

وحين سألته عن رأيه فيما يحدث الآن من تحرشات أمريكية صهيونية بالشعب العراقي وهل من الممكن الآن الوقوف إلى جانب النظام العراقي ضد هذه الهجمة الخارجية ضحك أيضاً ولكن من سذاجتي وقال – وهل توقف نظام – البعض – العراقي عن التحرش بالشعب العراقي وقمعة وإلاله؟ والحقيقة أنين لم أجد إجابة هذا السؤال الفلسفي.

يا صديقي العزيز كوكب نحن هنا في مصر المحروسة ننزف دمًا من أجل شعب العراق الشقيق الذي تكالبت عليه الأعداء من كل جانب.. فالمرض والجوع يفتك بالأطفال والحكام يعيثون فسادا في – بساتين البنفسج – والأعداء من الخارج يحاصرون

أشقاءنا ويتفننون في إذلالهم وأنظمتنا العربية المهترئة لم تعد حتى قادرة على مجرد الشجب والليل مدلهم والطريق مظلهم والرفاق في الشتات وكرة القدم مازالت تحكم العالم مع الكوكاكولا والمارلبورو وكاظم الساهر يغني – زيديني عشقاً.. زيديني – والرئيس الأمريكاني المعجباني مازال يتحرش بنساء البيت الأبيض رغم عجزه الجنسي المفضوح والحيزبون الصهيونية القبيحة مادلين أولبرايت طايحة في العالم تبحث عن ذكر وهي في سن اليأس والأمباشي عرفات غارق في المذلة وأباطرة الفساد في مصر المحروسة يتحرشون بالهامش الممنوح للصحافة الوطنية وأنت في منفاك البارد وأنا أسهر كل ليلة مع – بساتين البنفسج – ولله الأمر من قبل ومن بعد.

يا دار مادخلك شر

شعب الجزائر الشقيق يتعرض للإبادة الجماعية.. وحكام الجزائر الأشاوس قاعدين على قلبها لطالون؟.. وما دامت عاصمة الملك محمية بالجيش والبوليس والتليفزيون فليذهب باقي جسد الجزائر إلى جهنم وبئس المصير؟

ولو سيادتك حاولت تعرف الفاعل حيجر الك نفس اللي تاهت في سوق الغزل.. صديقة جزائرية مقيمة بالقاهرة قالت لي إن القتلة في المذابح الأخيرة كاتبين على قورتهم باللون الأسود « كتاب الموت.. أعداء الله »، ورغم يقيني الثابت في أن أي إيذاء يلحق بأمتنا العزيزة لازم يكون وراه الصهاينة والأمريكان.. إلا أني متنازل عن هذا اليقين لأي باحث عن الفاعل يحدد المجرم في بلد المليون شهيد.

.. سنتين من عمري الشقي قضيتهم في هذا البلد الحبيب وفي كنف الشعب الطيب.

.. سنتين شفت فيهم السادة الفرانكوفونيين أصحاب الولاء المطلق لفرنسا وكل ما هو فرنسي وكيف يديرون الثقافة الجزائرية ويدفعونها في هذا الاتجاه!

وفي جلسة منفردة مع الروائي الجزائري العربي الكبير الصديق الطاهر وطار قال لي: لقد أهمل هواري بومدين قضية التنمية ليتفرغ لقضية تعريب الجزائر ولست أدري أكان على صواب أم كان على خطأ؟. وقالت لي المناضلة الجزائرية المعروفة جميلة بو حريد: إن العديان « الأعداء » لم يتغيروا بعد كل ما دفعت الجزائر من دم أبنائها الغالي.. فقد تغيرت الأسماء وألوان الجلود!

أما أنا فلست أعتقد أن مهمة القوادة يمكن أن تدفع محترفيها إلى ممارسة نفس السلوك الذي انتهجه الجالسون على مقاعد السلطة في البلد الشقيق التعيس.. ٤١٢ مواطناً جزائرياً ذبحوا وشوهت جثثهم وقطعت رؤوسهم وكان رد فعل السادة المختبئين في قصور العاصمة هو تحذير للمواطنين العزل بأن يكونوا أكثر انتباهاً! أي والله العظيم تلاته هذا الكلام طيرته وكالات الأنباء وبثته الإذاعات الصوتية والمرئية ونشرته الصحف الملونة والأسود في الأبيض في جميع أنحاء الأرض! والحكاية دي بتفكرني بحادث فتاة العتبة الشهير لما طلع وزير الداخلية المصري وبكل عين قوية يقول: إن الله حصل ده حصل لأن المواطن المصري فقد الشجاعة والشهامة والمروءة وإلا لكان أنقذ الضحية من براثن الوحش! بقى يا ولاد الصرمة تكتفونا بسلسلة القوانين الجهنمية وتركبونا الرعب الدائم من قانون الطوارئ طويل التيلة ولسه منتظرين مننا الشجاعة والشهامة والنجدة؟ صحيح اللي اختشوا ماتوا.. وعلى رأي الشاعر القديم « ألقاه في اليم مكتوفاً وقال له إياك إياك أن تبتل بالماء! ».

صحيح إحنا وصلنا إلى مرحلة الهرويع اللي هيه انفلات الشكمانات ونعومة الصواميل وسريان الرخاء في الدماء لكن مين اللي عمل فينا كده يا حكومات العرب؟

شعب الجزائر من أربعين سنة بس صنع واحدة من أعظم ملاحم الإنسان على الأرض.. وقدم من ولاده مليونًا ونصف المليون شهيد في سبيل تحرير وطنه من الغاصب المحتل ونجح في تطهير أرضه من دنس الاحتلال وشعب مصر العظيم الذي لا يشبع ولا يكف عن تقديم الشهداء دفاعًا عن الحق والحرية في مصر العظيم الذي لا يشبع ولا يكف عن تقدم الشهداء دفاعاً عن الحق والحرية في مصر واليمن والجزائر والصومال والكويت وعلى أرض فلسطين السليبة والشعب الفلسطيني اللي اخترع انتفاضة الحجارة في وجه الترسانة الصهيونية المدججة بأحدث وافتك أسلة الموت والدمار والشعب اللبناني اللي اخترع القذيفة البشرية في عملياته الاستشهادية اللي أذهلت جنرالات وخبراء العلوم العسكرية وقلبت نظرياتهم عاليها واطيها وتفضل سيادتك تعدد في بطولات الشعوب ما تتعدش وتفضل سيادتك تعدد في أنانية ونذالة الحكومات والحكام وبرضه ما تتعدش.

ويرجع مرجوعنا للجزائر الشهيدة أم المليون ونص المليون شهيد اللي بيتعرض شعبها الشقيق لعمليات الإبادة الجماعية بشكل شبه يومي والعالم كل في الطناش أما المواطن المصري يا ولداه فيصبح الصبح ويمسك الصحيفة ويمر بعينه على مانشت الكارثة بسرعة علشان يلحق يفتح على صفحة الرياضة ويقرأها بتمعن وبعدين يحل الكلمات المتقاطعة ويا دار ما دخلك شر.

اغتيال شحتوت العظيم

المنصورة الجميلة لها عندي في القلب أحلى المودة وفي العقل أغلى الذكريات لأني ذات يوم من الأيام سجنتني النداهة على هناك.

وهناك قابلت صحبة من أنبل وأجمل المجانين في الفن والوطن والحياة: وأنا كان لي عظيم الفرح بصحبتهم على مدى ستة شهور انجزنا خلالها تجهيز وعرض رواية دورنمات الشهيرة (هبط الملاك في بابل) بعد ما مصرها ابن المنصورة محمد سعيد تحت اسم (شحتوت العظيم) وأخرجها للمسرح أحمد عبد الجليل أحد المخرجين الشبان الموهوبين في المنصورة وما أكثرهم.

ولقد شاركت في تقديم هذا العرض مجموعة نادرة من الفنانين الموهوبين الثقفين المغمورين.

وكم كنت ومازلت أحمل إحساسًا خاصًا نحو هذا العرض الذي خرج إلى النور متجاوزًا وبقوة كل العقبات والمعوقات التي كانوا يفرشونها في طريقنا كحقول الألغام.

خرج العرض ليضئ ليالي المدينة الهادئة بالفن والحب والفرح. وهذا الأسبوع شرفني رفاق شحتوت العظيم بزيارتهم لي في منزلي القابع بمساكن الزلزال في أحشاء صحراء المقطم القاحلة.

وبقدر ما سعدت بزياتهم أصابني الإحباط وهم يسردون على مسامعي ما حدث: إن هذه المجموعة مهددة تمامًا بالتوقف عن الفعل المسرحي إلى الأبد وبدون أسباب اللهم إلا استمرار تسلط أحد الديناصورات المتخلفة عن العصر المهراني الطباشيري الذي انتهى ببلوغ السيد حسين مهران سن التقاعد (رغم كل شيء؟) وأحالته قسرًا إلى نادي أرباب المعاشات: إن هذا الديناصور يتصرف في شئون المسرح والمسرحيين في المنصورة على أساس أن البلد خلاص بتتقسم فقال في عقل باله على رأي المرحوم جحا (بيت أبويا بيقع لما الحق آخد لي طوبة).

يا سيادة الديناصور لا البدل بتتقسم ولا بيت جحا هيقع ولا مسرح المنصورة القومي طوبة يا طوبة أما مسألة ادعائك إنك قريب الوزير الفلاني فدي هتيجي على دماغك لإنك ديناصور غبي ومجرد اختيارك لهذا الوزير اللي هاحتفظ باسمه الآن بيأكد غباءك الحيثي، فهذا الوزير في حدود معلوماتي ملوش قرايب في الشغل ولو سمع إنك تبدعي قرابته هيجخلي وقعتك لون خلقتك، وعمومًا انت مش قضيتنا وخلينا منك.. إنما أنا يتوجه الآن بالخطاب لعدة جهات أولها:

الدكتور فوزي فهمي الوريث غير السعيد لتركة العصر المهراني المثقلة بالتجاوزات القاتلة.

وثانيتها: الصديق سامي خشبة رئيس البيت الفني للمسرح.

وثالثتها: السيد فاروق حسني اللي صدع رؤوسنا بمهرجاناته المسرحية التجريبية والتقليدية والعنجرانية والفنجرانية والملوخية بالتقلية!!

لمصلحة مين إغلاق مسرح المنصورة القومي والحكم بإعدام هذه المجموعة من المواهب التي تواصل الإبداع في الظل ضاربة عرض الحائط بالتجاهل الإعلامي الفج وفقر الإمكانيات ورزالات الموظفين وعفن رؤوسهم المظلمة وذلك وذل السؤال للي يسوى واللي ميسواش للحصول على ملاليم الدعم ليواصلوا رحلة الإبداع فقط لا غير.

أما مسئوليات البيوت والأولاد والمعايش فهي بالنسبة لهذه النزعية من العشاق المجانين مسألة ثانوية ويعلم الله وحده كيف يدبرونها والسمرح ياكل أكثر من نصف يومهم ويحرمهم من فرصة العمل الإضافي لمواجهة أعباء الحياة بالنسبة لأسرهم التي ابتليت بهذا النوع من الآباء المجانين بالفن والوطن والحياة هذا كل ما عندي قلته اللهم بلغت، اللهم فاشهد: (المجد لشحتوت العظيم)، والموت والخزى والعار لأعداء الفن والوطن والحياة.

اشنقوا عمار الشريعي

اللي حصل في مهرجان الأغنية العربية في البحرين أنا مش لاقيله إسم لأن عبارة « مؤامرة على مصر » بردت وبهتت وفقدت مدلولها منطول ما استعملناها سواء بالحق أو بالباطل.

الغريب في الأمر إن اللي حصل ده مش جديد، والأغرب إننا ما بنحرَّمش لأننا شعب لا ينسى أي شيء إلا الإساءة! من اللحظة الأولى لوصول الوفد المصري إلى المنامة وهو محاصر بجو الكراهية والعداوة من مجموعة الصغار المتواجدة دائمًا وأبدًا في كل المهرجانات الثقافية والفنية التي تقام على أي أرض عربية « ما تعرفش بيطلعوا منين؟! ».

ويمكن اللي خفف البلوى وهول الخطب على الوفد المصري هو حسن الاستقبال وكرم الضيافة من الأشقاء البحارنة وهو برضه اللي منع المصريين من اتخاذ الإجراء الطبيعي إزاء سفالات الصغار وحقارتهم.. وهو الانسحاب الفوري والعودة إلى حضن الوطن معززين مكرمين ولما سألت عمار الشريعي انتوا ليه مانسحبتوش؟

قال لي ده يبقى كرسي في الكلوب قلت له وماله؟ قال لي والأشقاء البحارنة ذنبهم إيه؟ الناس استقبولنا بحضن ودود وبذلوا من كرم الضيافة ما هو فوق التصور فيبقى مش معقول إننا نبوظ لهم الليلة.. كل فرح يبقى فيه بلطجية ودايمًا بيحضروا من غير دعوة! فهل نحمل أصحاب الفرح مسئولية تصرفاتهم يبقى ده عدل؟

قلت له لأ. لكن أنا باسأل مين المسؤل عن وصول هذه الطفيليات لي مقاعد القضاة في لجان التحكيم؟ ضحك عمار الشريعي فقط.. وكانت دي أبلغ إجابة على السؤال.

نيجي بقى للتلميح بالعداوة اللي تحول لاى تصريح وبالصوت العالي واللي تجسد في العبارة التالية « إذ مصر بدها تكسب.. بدي اقطع زندي » العبارة دي قالها على مسمع من الوفد المصري شخص مش هاشرفه بذكر اسمه.. وبعدها صعدت « عصفورة النيل الطروب » أنغام إلى خشبة المسرح وسط عاصفة من التصفيق الجنوني اللي ردت عليه أنغام بفاصل ممتع من الشدو الجميل حول القاعة إلى منطقة زلازل فلم يتمالك أستاذها المايسترو مصطفى ناجي نفسه واندفع إليها واحتضنها وهو يبكي فرحا. وفوجئ الجميع بهذا الشخص نفسه يدنس قدسية هذه اللحظة بصوته الكريه « هذا تمثيل » بدهم يؤثروا على لجنة التحكيم!

وإزاء الاستفزازات المتواترة التي تعرض لها الفنانين المصر يين من بلطجية الفرح وفض الصعيدي عمار الشريعي استلام جائزته كأحسن ملحن وكان هذا أضعف الإيمان لكنه فوجئ بالأستاذ عمر بطيشه يتسلم الجائزة في غيابه.. نيابة عنه!

الأستاذ عم بطيشهة كما هو معلوم للعامة والخاصة بيشتغل مذيع ومؤلف أغاني! وأنا الحقيقة مش قادر أفهم الأخ بطيشة حضر المهرجان بصفته فنان واللا مسئول إعلامي؟

إذا كان فنانًا فيبقى سلوكه ده من باب سلك أمورك ومشيها تمشي » وده في عرفنا يا أهل الفن عيب إما إذا كان مسؤلاً إعلاميًا فالمسألة تبقى دخلت في نطاق الكوارث الطبيعية.. ويبقى لزمًا وحتمًا ومن كل بد تقديمه للمساءلة لأن الإهانة هنا موجهة للفن المصري اللي ما عدش حيلتنا غيره.

فيا أيها المسئولون عن الفن المصري « اللي ما عدش حيلتنا غيره » يا إما محاسبة المخطئ يا إما تفضوها سيرة من حكاية المهرجانات واللغ في اليغمة يا إما تشنقوا عمار الشريعي علشان يبقى عبرة لأي مواطن يفكر مستقبلاً إنه يغير من كرامة أي شيء مصري والاً أنا غلطان.

البقاء للأصلح

ومات زكي بدر أشهر وأفكه رئيس عسس لدي أصحاب الجلالة والسمو والفخامة سلاطين ورؤساء وملوك الطوائف العربية المعاصرة و – جادك الغيث إذا الغيث همى.. يا زمان النفط بالأندلس.

والطريف في شأن رئيس العسس الراحل هو خروجه الأحمق على أصول اللعبة وتجاهله للحدود المرسومة بدقة لأمثاله وتخطيه الأهوج لكل الخطوط والإشارات الحمراء.. ودا في حد ذاته عمل نوع من اللخطبة والبلبة والغوشرة لدي الحكام فاضطروا آسفين إلى أنهم يصبنوه ويرفعوا له الكارت الأحمر ويلعوا عشرة رغم شدة حاجتهم إلى جهوده خصوصًا وإنهم بيلعبوا في الوقت.. بدل الضايع اللي حيضيفه الحكم الي هو الميقاتي الوحيد زي ما احنا عارفين وفي الزمانات القديمة كانت وظيفة رئيس العسس هي حراسة وحماية مصالح وأموال وحريمات وأرواح أسياده الحكام وعشان كده كانوا العامة بيسموه – كلب الحراسة –.

لكن بقى لما الطب اتقدم بفضل ثورة الاتصالات وتواجد التليفزيون والدش و – الفيديو كليب – وأصبح لدينا بفضل الله – الإعلام الأمني – وتشابكت مصالح العسس بمصالح الحكام نتيجة المسيرة الجماعية على طريق الهبش والتهليب وساح كله على كله انشالت عبارة كلب الحراسة وانحطت مطرحها عبارة – عيون الوطن – ولله في خلقه شئون.

ولو رجعنا بالذاكرة حبتين حتلاحظ سيادتك إن جميع رؤساء العسس ما كانتش بتربطهم بجنس الشعراء علاقة طيبة: ليه بقى سيادتك؟ لأن الشاعر كان بيبقى قاعد مع الأمير وصحبته بيتبادلوا الأنخاب والنسوان والغلمان بينما رئيس العسس ملطوع ع الباب وعمال يمُؤْ في اللي رايح واللي جاي بعيون بتقدح شرار وتلاقيه هو ذات نفسه ماكانش فاهم هو بيعمل كده ليه!! وكان طيب الذكر المرحوم الحسن ابن هاني الشهير بأبو النواس مسمي رئيس عسس الرشيد – قواد بدرجة.. كلب حراسة! – وعلشان كده ما كانوش يحبوا بعض وكانت العلاقة بينهم مش اللي هي ولما سألوا الشاعر العظيم عما بينه وبين رئيس العسس قال – كل منا لا يحب بضاعة الآخر –.

ومن الوقائع المعاصرة اللي بترسم صورة بسيطة وأليمة للعداء الفطري المتأصل في نفوس ورؤوس العسس لكل ماله علاقة بالشعر والثقافة والواقعة دي كانت بالتحديد في السعودية وما أدراك ما السعودية دخل العسكري على الضابط في القسم وراح ضارب رجليه مطلع شرار وهو بيأدي التحية العسسية وقال له:

- معايا اتنين متخانقين.. سيدي

قال له: احبس الغريب!!!

قال له: لتنين غرب

قال له: احبس المصري!

قال له: لتنين مصريين

قال له: احبس المدرس!!!!!

ومات زكي بدر أفكه رئيس عسس لدي...

والبقاء للأصلح.

والدفاتر سليمة.. والعهدة تمام

« الحمد لله.. الحمد لله.. بوسوا الأيادي وش وضهر، لأن المسائل لا قدر الله كان ممكن تطير فيها رقاب والدم عدوك يبقى للركب، لكن نحمدك يا رب طلعت الإدارة العامة للإعارات بوزارة خارجية مصر المحروسة بريئة ولا براءة الديب من دم المدعو معتز محمود إبراهيم.. ليه بقى؟! قالك يا سيدي اتضح بعد البحث والتقصي إن المذكور زيه زي البهيمة اللي حبلها على ظهرها راح من ورانا (الخاين المجرم) واتعاقد على العمل كمدرس في دولة الكويت الشقيقة يعني زي ما تقول كده خد الإعدادية والثانوية العامة والليسانس من منازلهم وبكده يا عزيزي المواطن يبقى هو المسئول عن نفسه ويبقى يستاهل كل ما يجرى عليه، يجي بقى واحد من إياهم ويقول لنا ده برضه مواطن مصري والدولة مسئولة عن كرامته وسلامته والكلام المجعلص ده؟ اسمحو لي بقى إحنا مش فاضيين للعب العيال ده ويا ريت كل اللي معاه كلمة يلمها.. إمضاء مدير الإدارة العامة للإعارات بوزارة الخارجية – القاهرة – في غرة ذي الحجة المعظم انتهى » الشوية اللي فاتوا دول يا عزيزي المواطن همه تقريباً وجهة نظر دولتنا الطريفة الظريفة في موضوع المواطن المصري معتز محمود إبراهيم.. اللي هو إيه بقى؟.

صلوا بينا على النبي.. كلنا طبعًا عارفين في مصر إن الشهادات الدراسية بقت دلوقت زي قلتها ويمكن قلتها أحسن لأن الأب، دلو عشان يخرج ابنه من الجامعة بيكون اتعصر دمه وبهاريز نخاعه، وبعد الزينات والاحتفالات بنجاح المحروس بالشهادة الكبيرة يقعد سيادته في البيت في انتظار الفرج حاطط إيده على خده (زي المطلقة حديثًا) وكل طلعة صبح يمد إيده لأبوه الغلبان ويلهف منه المصروف زي بتوع معاش السادات وكأنك يا أبو زيت ما غزيت! طيب بذمة النبي مش لو كان أبوه رماه عند واحد ميكانيكي من صغره على الأقل كان دلوقتي باشمهندس قد الدنيا وصوابعه العشرة مزنوقة في الخواتم الدهب وراكب زلموكه؟

القصد زي ما تقول كده إن الأخ معتز لما مر بالظروف دي صعب عليه حاله وقعدته عالة على أهله فخطف رجله لحد الكويت الشقيق ونجح (ما تعرفش إزاي) في الحصول على وظيفة مدرس والمدرس يا عزيزي الطالب في المجتمعات البدائية هو العدو الأول للاسترخاء الملكي السرمدي، لأنه وليعوذ بالله بيزرع جرثومة المعرفة اللعينة في رؤوس النشء البريء.. وفي يوم من ذات الأيام وأثناء ممارسة السدي معتز لوظيفته في قاعة الدرس تطاول عليه تلميذ كويتي شقيق اسمه المحيسن أو الدغيدي أو حاجة من هذا القبيل لكن ماماته وباباه بيدلعوه يقولوله يا بوش زي كل أطفال الكويت الشقيق الآن!

ويبدو والله أعلم إن الأخ معتز اعتز بكرامته وهبابه وأعلن رفضه للإهانة فما كان من بوش الصغير الجميل المدلل إلا أن خلع المركوب ونسله على دماغ المعتز بالله المصري المدرس!

وإزاء هذا السلوك المتحضر اضطرت إدارة المدرسة إلى نقل المحيسن أو الدغيدي إلى مدرسة أخرى مفيهاش حد معتز.. يقوم يشاء السميع العليم أن أبو بوش الصغير يطلع ضابط كبير قوي (قوي جداً خالص) في وزارة الداخلية الكويتية (الشقيقة برضه) وطبعًا إحنا عارفين إن أي ضابط يبقى معاه بالقليل طبنجة لزوم الحفاظ على أمن الوطن والمواطن (اصحى للون) تعالى انت يا عم بوش يا صغير واسرق طبنجة والدك واطلع على مدرسة المعتز المدرس وفرغ الطبنجة في كرشه عشان يحرم يعتز تاني ويتحول في ذات نفس الوقت إلى أمثولة وعبرة لأي كائن غير خليجي تورد على خاطره هواجس وخرافات الشرف والكرامة والإنسانية والكلام اللي مش جايب همه ده، لأن الدينار الكويتي بـ ١١ مصري.. يبقى إش جاب لجاب بقى؟

المهم إن الإداة العامة للإعارات عاملة ودن من طين وودن من عجين إلى وقتنا هذا وبتقولك ده مش تبعنا والدفاتر سليمة والعهدة تمام.

سيما أونطه

ما هو إما فيه مخطط كامل ومتعدد الأضلاع للقضاء التام على صناعة السينما المصرية يا إما الدولة دي عندها انفصام والمشكلة صدقوني ماهياش الحكم اللي صدر بالفعل ضد الفنانة معالي زايد والفنان ممدوح وافي. ولكن المشكلة في مجلس النقابة المتخاذل اللي سمح أصلاً بتحويل الفنانين إلى نيابة الآداب العامة عشان يحشروهم في قفص واحد مع بنات الليل وتجار اللحم الرخيص ويحاكموهم بنفس قوانينهم ومن هنا يتعامل معاهم القاضي على أساس إنهم مومسات أو قوادين ويبقى أحمد زي الحاج أحمد ومعالي زايد زي نعيمة شنط وممدوح وافي زي عباس ذو القرنين وكان الله بالسر عليم!

ولأن مجلس النقابة يعيش نفسه حالة الإغماء اللي بيعشها السيد النقيب منذ أن زعطوه وجردوه من جميع الأسلحة والمناصب والملابس فقد اضطر الفنانون إلى اللجوء للصحافة وحسناً فعلوا.

وكان اختيار الفنانين لمؤسسة روز اليوسف بالذات أكثر من موفق وله أكثر من مغزى فالمعروف أن مؤسس هذه الدار وصاحبها هو الفنان المسرحية العظيمة الراحلة فاطمة اليوسف – زميلتهم يعني – هذا إلى جانب أن مؤسسة روز اليوسف تكتظ الآن بمجموعة نادرة من شباب الصحفين وهم على أعلى مستوى من الكفاءة المهنية والجرأة في قول كلمة الحق وكلهم من أبناء الغد الذي يقاتلون بشراسة وفي ظل أسوأ الظروف لكي يصنعوا لهذا الوطن الجميل مستقبلاً أجمل.

وكان الغرض من هذا الاجتماع الاحتجاجي هو شرح قضية الرقابة الغبية على الإبداع الفني وبالفعل استطاعوا توصيل صوتهم إلى جميع الاسماع فلماذا حدث بعد ذلك؟ لا شيء!

ناس قالوا إن المسألة كلها مجرد فرقعة صحفية لرفع توزيع روز اليوسف.

وناس قالوا إن حالة الكبت العام اللي بيعشها المواطن المصري أمام كل مظاهر الانحراف والفساد الحكومي ربما تكون طالت الفنانين فعملوا الهلُمة دي عشان يروحوا روز اليوسف يفيصوا هناك وكل منهم يفقع له بقين سخنين ويرجع تاني.. أبوك عند أبوك وأخوك عند أخوك وسلم لي على روز اليوسف.

لكن أنا رأيي إن دي هي الأخيرة أمام الفنانين للدفاع عن رؤوسهم وعليهم الضرب في كل الاتجاهات كالاتصال مثلاً بمنظمات حقوق الإنسان في أوروبا وأمريكا وكاللجوء إلى الجماهير التي سوف تبادر إلى حمايتهم فوراً ولعلك تعلك تعلم أن جمهور عادل إمام وحده يساوي جماهير كل أحزاب المعارضة وكل الأحزاب الحاكمة في الوطن العربي مضروباً في عشرة.

وعلى الفنانين اللجوء أيضًا للمحكمة الدستورية العليا.. وأخيراً وليس آخراً على الفنانين أن يمارسوا بلا تردد حقهم الانتخابي بمنتهى الحماس والجدية حتى يأتوا بمجلس نقابة ونقيب يمثل مصالحهم بالفعل!.

بتقولوا مين يا ولاد؟

الرئيس المعجباني عبده كلينتون نزل على ركبه زرع بصل! – أحمدك يا رب – تصدق يا جدع إن بني آدم ده ما فيش أضعف منه.. ولا أجرم منه!

وبرضه التليفزيون ده على ما فيه من وساخة إنما ممكن يوريك لقطة بمليون جينه! فيحسسك إنه أوقات له عازه ويبطلك توح ع الفلوس اللي دفعتها فيه سواء فوري أو تقسيط.

قاعد أنا في أمان الله عمال أتفرج ع التصاوير اللي في النشرة لنجليزي ومستني أشوف لجوان تبع ماتش الأهلى والمصري وإذْ بحوالي ثلاثين مباحث أمن دولة في حالة رعب وملمومين حوالين شخص قاعد على كرسي وماسك ركبه ومنظره يصعب ع الكافر من شدة الضعف والعجز اللي هو فيه.. أتاري ده مين؟ عبده كلينتون – بتقولوا مين يا ولاد؟ عبده لكينتون – سبحان الله! بقى هو دا اللي كان امبارح بس واقف في المؤتمر الصحفي نافش ريشه زي الديك المالطي وقالع برقع الحيا وعمال يفتر ويكذب ويتباهى بقوته وعظمته ويقول أيوه علمنا فيتو لحماية سفاحين تل أبيب وتشجيعهم على الاستمرار في مسيرة الطغيان والإجرام واللي مش عاجبه يحط راسه مطرح ما يحط رجليه!

لا إله إلا الله – نتعظشى إحنا بقى؟ أبدًا.. أدي يا سيدي أقوى راجل في العالم كان حيروح شخة ف حمام.. وإيه؟ في جزئ من الثانية – على شرط ما حدش كلمه ولا حد جه ناحيته.. دي نفخة من عند ربنا هي اللي كومته وفرجت عليه اللي يسوى واللي ما يسواش وخلت فضيحته بجلاجل من خلال القنوات الفضائية والأقمار الصناعية والإذاعات السلكية واللاسلكية المسموعة منها والمرئية! وربنا بحق جاه النبي يكفينا شر الفضيحة المستخبية، طب عايزين أكثر من كده إيه عشان تتعظوا وتعرفوا إن الله حق وإن الدنيا منفاته والمتغطى فيها عريان يا عبدة الدهم والدولار يا موكوسين يا مغشوشين يا أشباه الرجال ولا رجال.

أنا لسه فاكر لحظة زلزال ٩٢.. كنت في مصر الجديدة وشفت الرجالة وهما بيجروا في الشوارع زي الفيران المذعورة، اللي بيصوت واللي بيقول الله أكبر واللي بقول دي علامات الساعة والنسوان نازلين م العمارات شبه عرايا مع إن الساعة كانت تلاتة بعد الضهر! وفي ظرف يومين إتحول الزلزال الرهيب إلى سبوبة.. ناس هبشت المعونات الخارجية وحولتها حساباتها في بنوك أمريكا وأوروبا وناس تاجرت في المساكن وناس سرقت البطاطين وناس سرقت الدقيق وعلب اللبن والزبدة وناس لمت التبرعات ونامت عليها ورجع أخوك عند أبوك وأصبح الزلزال في خبر كان! طيب بذمة النبي دي بلد ليها ملكة؟

واحد حيسألني طب انت شمتان في عبده؟ – طبعًا شمتان وما اشتمتش ليه؟ ما هم نازلين فينا ضرب عمال على بطال وأحنا لابنصد ولا بنرد – كمان مانشمتش؟ دا يبقى كفر. طب إيه رأيك بقى إني بعد ما شفت اللقطة الجميلة دي بدأت دماغي تروح لبعيد وأحلامي تنشط وخيالي يسرح في لقطة تانية لو حصلت ندرن عليَّ لا أفرق عيش وفول على باب أم هاشم إني أشوفك يا خنزير يا قتال القُتلا يا معفن – على رأي زينب بنتي – يا نتن يا هو متقطع حتت تحت ترماي تلاتين في دوران روض الفرج وعمال الإنقاذ عمالين يسلكوا لحمك النجس من بين العجل والقضيب.. قادر يا كريم مش دي برضه تبقى لقطة تستاهل الفرجة؟.

أسطورة إيزيس

الميه قالت للبساط السندسي غنوة حنين
واستأنفت نفس السفر
يا زرع يا اخضر
انت ليه واقف حزين؟
إفرح وصحصح
واستحمى بالقمر

والصبح ضي الشمس
ييجي يجففك
ويلفلفك م الزمهرير
دفا وعفا
تطلع نضير
تسقي الطيور من فرحتك
تملا الوجود بالزقزقة
واسمع بقى
يا زرع يا عمر السنين
ما تقولش عني للزهور
كلام حزين
الكون ما هوش ناقص غضب
الكون ما هوش ناقص أنين

صبحت إيزيس
من قبل آلاف السنين حزينة
مش من غير سبب
أكيد أكيد
كان في سبب
نزلت دموع الحزن
أشبه بالسيول
أو بالخيول الجامحة
من ضجيج دق الطبول
شقت لها ع الأرض
مجرى أو مسار

من يومها صار
والنيل مسافر باقتدار
يكسي الشقوق في الأرض
تتفجر حياه
ولا حد عارف منشؤه
ولا فين مداه
الكل قال
والكل عاد
والكل معرفش الميعاد
لكن قليل اللي عرف
إن الدموع
هي اللي شقت للبشر
بين الربوع
نهر الحياة.

راح فين الويسكي

الشاعر العربي الكبير سعدي يوسف اللي كان ضيف مصر ضمن التجمع العربي اللي عقد في القاهرة تحت مسمى « الملتقى الشعري العربي! » تعرض لموقف محرج ويمكن مهين والله أعلم حزر فزر سيادتك إيه هو الموقف ده؟ قالك يا سيدي أي وافد على مطار القاهرة أو أي مطار في العالم يبقى من حقه إنه يشتري من المنطقة الحرة أي شيء هو عايزه على شرط إنه لا يتعدى حصة معينة وإنهم يثبتوا ده على جواز سفره. أخونا سعدي تذكر أنه محتاج شوية حاجات من المنطقة الحرة فأخذ بعضه واتجه من الفندق للمطار على جناح الأحلام الوردية لإنه ببساطة شديدة كان محضر مجموعة مفاجأت لمجموعة أصدقاء مصريين على هيئة مجموعة هدايا من المنطقة الحرة المذكورة..؟

وبمنتهى الثقة إلى هيه أحياناً تصل إلى درجة الألاطة دلف سعدي يوسف من باب المنطقة الحرة بمطار القاهرة وفي حدود القرشينات اللي معاه راح مبضَّع وهو « باسم الثغر وضاء الجبين » وبمنتهى الرشاقة اتجه سعدى له نظرة وعيد وتقيسه من فوق لتحت وهي ممتعضة أو مشمئنطة من شكله اللي هو خلقه ربنا « مش ولا بد » وفوجئ بالآنسة بتقول له انت يا أستاذ بتقدم لي الباسبور ده ليه! أخونا أرتبك شوية وبعدين قال: لها:

- أنا عراقي

قالت له: انت هاتحكيلي قصة حياتك؟.. أنا باسأل سؤال محدد. إنت بتقدم الباسبور ده ليه.

قال لها: من شان الأغراض اللي معي.

قالت له: مش عيب يا أستاذ تبقى شاعر وحرامي!

وقبل ما يتلم الشاعر الكبير على نفسه استأنفت الآنسة مونولج التقريع والتأنيب بصيغة السؤال:

- إزاي تبقى شاري بحصتك على الباسبور مرة وتيجي تستعمله تاني! مش عيب يا أستاذ بتستعمانا حضرتك!

وأحس سعدي يوسف بالمطار بيلف بيه فقال لها وكأنه بيكلم نفسه:

- أنا لم سبق ليس شراء أي شيء على هذا الباسبور اللعين!

ضحكت الآنسة ضحكة صفرا وقالت له وهي بتقذف بالجواز في وشه يا أستاذ إنت واخد بحصتك كلها ويسكي لحقت شربته كله.

- ويسكي؟!

ودارت الأرض والسما والبحر والجبال بدماغ سعدي يوسف وزي ما بيقولوا بالفصحى « راح يقدح زناد فكره » وأخيراً تذكر أنهم في الفندق سحبوا منه الباسبور ضمن ٤٠٠ باسبور من ربعميت مدعو متعرفش مين اللي كان داعيهم وكانوا مخبينهم فين أثناء انعقاد الملتقى الشعري العربي التهليبي العجيب!

واتضحت المسائل واكتشفوا الربعميت مدعو أن جوازات سفرهم راحت المطار وانصرف بيها الويسكي!

وأنا الحقيقة دلوقتي اللي قالقني وحارم عيني لذيذ المنام مش عدد المدعوين الفلكي ولا باسبورتاتهم اللي اتسرقت وانصرف بيها ويسكي.. أنا بصراحة قلقان على مصير الويسكي راح فين الويسكي يا أستاذ «...؟ ».

ملحوظة مكتوب على باب الجنة « انتي حرام على البخيل الديوث » الديوث هو اللهم احف

حكايات من هناك أحمد سليم «!»

في المعتقل زاملت ناس ياما. وزرا وجنرالات وزعما سياسيين ومهندسين ودكاترة وعمال وطلبة ورجال أعمال وو.. ما تعدش. لأن أيامها كان الاعتقال حق مشروع لكل مواطن زي الموت و... بعيد عن السامعين والحاضرين –الجواز – والعياذ بالله.. وكان الشعار القومي الثابت أيامها – أنا معتقل.. إذن أنا موجود –.

وقابلته.. كان اسمه أحمد سليم – عامل زراعي – وأرجوك تقرأها وتفهمها كويس وما تعملش زي وكيل النيابة اللي كان بيحقق معاه مرة من ضمن المرارير وما خدش باله وهو بيسأله: اسمك؟

جـ – أحمد سليم. سأله: – عنوانك؟ أجاب: دقهلة دقهلية.

س – بتشتغل إيه؟.. فأجاب – عامل زراعي.

وفوجئ بوكيل النيابة الشاب وهو بيضرب كف على كف وبيقول له بلهجة المتعاطف – وليه يا ابني تضيع مستقبلك في شغل السياسة والكلام الفارغ ده؟ وضحك أحمد سليم وقال له: مستقبلي؟ باقول لك عامل زراعي تقول لي مستقبلك! هي دي رخرة فيها مستقبل!

وزادت دهشة وكيل النيابة بعدما فهم وظيفة المتهم الماثل أمامه وقال له: – عامل زراعي يعني فلاح بتشتغل بالفأس. طب مالك انت ومال السياسية؟ والأفكار دي جات لك إزاي ومنين!

ضحك تاني وقال له: – جت مع البلهاسيا اللي في مية النيل – مش انت برضه عندك بلهارسيا ولا انت مش من مصر؟ وكأن رأي أحمد سليم إن البلهارسيا هي المرض « الفلكلوري » للشعب المصري!!

هذا الفلاح البسيط كان وأحداً من أهم أساتذتي في الحياة اتعلمت منه كتير قابلته في معتقل القناطر سنة ١٩٦٩ ضمن مجموعة من الجنرالات وكبار رجال الأعمال – كان لابس جلابية كستور في عز الشتاء لكن كان نضيف ومشلين وصاحي وهادي ومتماسك زي شريحة الصلب الخام وكان صمته بيحيطه بهالة من الغموض ويمكن ده من الأسباب اللي خلتني اندفع باتجاهه ودا طبعاً إلى جانب وحدة الفقر اللي بتربطنا أنا وهو والشيخ إمام دوناً عن باقي الرفاق في عنبر التأديب بمعتقل القناطر الرهيب وكانوا حابسينا في زانزين انفرادية لحكمة لا يعلمها إلا الله وأجهزة الأمن اللي اتضح بعد كده إنها أرحم بينا من أنفسنا واحنا مش واخدين بالنا! لأني لما سألت السيد اللواء الدكتور المهندس مدير المنطقة المركزية لسجن طرة إزاي تحط الشيخ إمام الكفيف في زنزانة انفرادية وتروح بيتك ويجيلك نوم؟

قال لي: انتوا مش واخدين بالكم. دا إجراء وقائي.. إحنا خايفين علكيم من انتشار الأمراض؟

وكان من حسن حظ الشيخ إمام إنهم حطوه في الزنزانة رقم ١٣ بجوار أحمد سليم اللي كان في الزنزانة رقم ١٢ بينما كان العبد الفقير في زنزانة رقم ١ مجاوراً للأستاذ لطفي الخولي ومن جاور السعيد.. يسعد.

وكانوا حريصين على ألا نلتقي أنا والشيخ إمام تحت الشمس فكانوا الصبح يفتحوا الزنازين من واحد لسبعة « فسحة دورة المياه » وبعد ما نقضي حوائجنا الإنسانية يدخلونا الزنازين ويقفلوا علينا بالضبة والمفتاح ويفتحوا الزنازين من ثمانية لاربعتاشر « فسحة دورة المياه ».

وأنا باعترف بعد مرور هذه السنوات إن الشيخ إمام لو كان جنبي أو حتى معايا في نفس الزنازنة كان حينظلم لأني بصراحة ما عنديش طقطان أعمل اللي كان بيعمله معاه أحمد سليم.. كان حاجز له الدور الأول لأن دورة المياه كانت عبارة عن حمام واحد لأربعتاشر معتقل! نقف عليها بالطابور زي الجمعية وكان يدخل هو قبل الشيخ إمام ينضف له الحمام وبعدين يدخله يقضي حاجته وبعدما يخرج ياخده على الحنفية يغسل له وينشفه بالفوطة اللي كان بيغسلها كل يوم ويسرح له الشعرتين اللي باقيين في دماغة

ويفطره وبعدين يمشيه «أنججيه » لحد ما تنتهي فترة الفسحة يكون كانس له الزنزانة ومنفض له فرشته وفرشها له ويتطمن عليه قبل ما يخش زنزانته. طب أنا أقدر أعمل ده؟ لا والله.

وباقي في الحكايات كلام وكلام.

.. والدراويش

نجيب شهاب الدين خرج أخيراً من شرنقة الاكتئاب المديدة – أحمدك يا رب – وللذين لا يعرفون شهاب الدين أقول: إن نجيب كان في السبعينيات من هذا القرن (مشروع شاعر حقيقي) وكان العبد الفقير من أشد المتحمسين له ولشِعره الرقيق الجميل لدرجة أننا أخذنا بعض قصائده ولحنها الشيخ إمام وكنا نغنيها في الجماعات والتجمعات الجماهيرية التي كنا نحضرها ونخرج منها إلى السجن مباشرة.

ونجيب شهاب الدين إلى جانب أنه – شاعر موهوب – فهو أيضًا – سمِّيع قراري – ويتمتع بصوت جميل و – ودنه نضيفه – ولذلك حين كتب عن أم كلثوم في « الدستور » أجبرني على قراءة مقاله الطويل من الألف للياء.. وبعدما قريت المقال قلت في عقل بالي – أول الغيث قطرة ثم ينهمر – وفي عدد الدستور ١٩٧٧/٢/٢٦ جادت قريحة شهاب الدين بالقطرة الثانية وإذا بها تحمل رواسب وشوائب فترة الاكتئاب الطويلة!.

وأنا لسه فاكر عبارة كانت المرحومة أمي دايماً تقولها لي كلما ارتكبت الحماقة « ربنا لما بيغضب على حد بيسلط عليه نفسه » ومن غضب ربنا على شهاب الدين إنه نشن على موضوع شائك وخاض فيه زي الجمل الأطرش فطرطش نفسه وطرطش اللي حواليه ولا حول ولا قوة إلا بالله.

أنا كنت كتبت في موضوع السطو على تراث الشاعر الكبير الراحل فؤاد حداد في رمضان الماضي عندما استعان الموسيقار سيد مكاوي – شفاه الله – بأبيات لحداد في المسحراتي التي كتبها الشاعر الكبير فؤاد قاعود والحقيقة إني كنت مدفوعًا للكتابة في هذا الموضوع لعدة أسباب منها أن الشيخ سيد مكاوي قبل أن يلتقي بفؤاد قاعود كان قد عرض عليَّ نفس الفكرة ولم أحبذها. علمًا بأن موضوع السطو على حداد لم يكن يدور في ذهني وكان رفضي لفكرة ينطلق من حرصي على ألا أستعين بإبداع شاعر آخر لأنني والحمد لله لست في حاجة إلى هذا ومن هذه الأسباب أيضًا حرصي الشديد على عدم تشويه صور الرموز المضيئة في حياتنا التي أصبح الغموض والظلمات تحيطها من جميع الجوانب بينما شهاب الدين في بياته المديد لا يدري بما يجري خارج حدود الشرنقة!

لذلك كان رد نجيب شهاب على مقالي بعيداً كل البعد عن الصواب فقد اتهمني – خبط لزق – بالجهل والجبن حين قال – ويبدو من التعليق أن نجم لا يدرك الموضوع. أو أنه يدرك أثر الابتعاد ودار حوله من بعيد!– وشهاب الدين يعرف من خلال قراءته لمقالي – إنه كان قد قرأه بالفعل – إنني أول من أدرك الموضوع – ويعرف أيضًا من خلال عِشرة طويلة أنني آخر من يؤثر السلامة ويدور حول أي موضوع.

ثم يستطرد المربي الفاضل شهاب الدين محاضرته القيمة فيقول – وإذا كان نجم لا يدرك ما حدث فالحقيقة إن ما فعله الأستاذ مكاوي وقاعود كان جريمة أخلاقية قبل أي شيء.. تتصل اتصالاً مباشراً بالضمير!

يا نجيب يا ابني.. موضوع إيه اللي انت بتتكلم عنه وانت محموء كده؟ صدقني الحكاية كلها مجرد لبس وإذا كان فيه جريمة حقيقية فمسئوليتها موزعة على عدة جهات ليس من بينها فؤاد قاعود بكل تأكيد وهذا هو تصوري للموضوع بدون تشنج ولا تصفية حسابات قديمة ولا دروشة ولا اصطياد في مياه البرك. وتستبد الحماقة بشهاب الدين فيخوض في منطقة مجهولة وشائكة بالنسبة لمن هو في حجمه فيتطاول ويتهم فنانًا كبيرًا في حجم الأستاذ سيد مكاوي بأن صوته ضحل وراكد ومكدود ومختنق!! تصوروا؟ وتستبد بالأستاذ شهاب حماقته فينصب من نفسه – فيلسوفًا معلمًا – في فن السماع فيخاطب تلاميذه اللي هما قراء الدستور وأنا واحد منهم – تصوروا لو إن محمد قنديل هو اللي غنى المسحراتي؟ – ويبدو إن شهاب الدين لم يسمع مسحراتي محمد قنديل وشفيق جلال ومحمد العزبي ربما لوجوده في باريس لمدة طويلة.. كل دول قالوا المسحراتي وكلهم قالوها بشكل جميل.. لكن ماحدش قالها زي سيد مكاوي.

نيجي بقى لزفت الختام في مقال الفيلسوف شهاب الدين اللي بيقول عن فؤاد قاعود وسيد مكاوي – حلة ولقيت غطاها! – طب ياريت بلدنا تتملي حلل وغطيان من نوعية قاعود ومكاوي. كنا شبعنا شِعر ونغم بدل الهم اللي احنا غرقانين فيه لشوشتنا ده أما المعلومة العظيمة اللي أسداها إلينا الخبير الأجنبي الأستاذ شهاب الدين فهي مختلفة ولا أساس لها من الصحة إذ يزعم المذكور أن قاعود كتب ديواناً عن اللحمة. وأنا بحكم صداقتي القديمة للشاعر الكبير أحفظ عن ظهر قلب أكثر من نصف شعره والباقي قرأته وأنا أتحدى شهاب الدين أن يأتيني بديوان اللحمة المزعوم.

ويختتم نجيب شهاب مقالته بتلقيني درساً بليغاً في شِعر العامية المصرية حيث يقول لي بشكل قاطع أن شعراء العامية المصرية الكبار حقاً هم بيرم وحداد وجاهين وكأنه بينصب لي فخ. فإما أخاف وانكتم وإما أتحمق وأتطاول على من تفضل العلامة شهاب الدين ونصبهم على عرش العامية المصرية! وعزا اختياره لهم بمواقفهم ومبادئهم والقيم الإنسانية الوطنية النبيلة التي امتلأت بها أرواحهم حتى فاضت.. وهذا الكلام حق يراد به باطل.. وإذا كان نجيب شهاب الدين يريد أن يفرغ باقي كبار شعراء العامية وأنا واحد منهم من هذه المضامين والقيم النبيلة فأنا عن نفسي أقول له بالفم المليان – إخرس أيها القزم والزم مكانك – فانت بالذات تعرفني جيداً وأنا أيضاً أعرفك جيداً وصفحات « الدستور » في انتظار ردك إذا كنت تملك الرد.

الأمير لانـج

اسكتوا.. مش إحنا الحمد لله الحمد لله ظهر لينا أمير شعراء جديد!! مش باقولكم أنا متفائل بسبعة وتسعين؟

أدي أول البشاير. أمير شعراء جديد لانج لأ وإيه؟ حاجة بقى لا تقوللي متنبي ولا شوقي ولا محمود درويش ولا الكلام الفارغ ده كله. فاكرين شوقي بيه لما خاف ع الفصحى من بيرم؟ أهي حصلت تاني والأستاذ منصور خايف يا عيني على الشعر المصري والشعراء المصريين من الأمير لانج!! برضه يا أخي أنيس منصور ده وطني! طب تصدق إنه كان بيتقطع من جواه وهو بيعترف أمام كاميرات القنوات الفضاوية إن الأمير لانج غزا الشعر المصري في عقر داره!! أيوه يا سيدي كانت هناك قنوات فضائية بتصور أمسية الأمير لانج اللي أقامها في قاعة فاخرة مكيفة مغلقة في فندق الماريوت بالزمالك. وكان الحاضرون فضلة خير الوزير الفنان فاروق حسني وزير الثقافة السياحية والفنان الدكتور ممدوح البلتاجي وزير السياحة الثقافية والأستاذ سمير بيه سرحان صاحب ومدير محلات الهيئة العامة للكتاب.. كتاب إيه؟ مش مهم، والأستاذ مفيد فوزي اللي كان بيطلع في البرنامج في التليفزيون.. ومن الفنانين والفنانات متعدش.. عد يا سيدي الآنسة أصالة مصطفى نصري، والأستاذ هاني شاكر ومحمد فؤاد محمد، يعني الصالة كانت (كمومبليه) شِعر بقى.. شوف انت.

ويمكن صحيح الأمير لانج إتأخر عن معازيمه حسبة ساعتين وساب البهوات كلهم ملطوعين في القاعة، لكن ما هي القاعة، في حد ذاتها قطعة من جنة رضوان، يعني فيها كل ما تشتهي النفس، وبصراحة كده أنا ليل نهار بادعي ربنا وسايق عليه حضرة النبي إنه يبتلي الشعب المصري كله بساعتين لطعة زي دول والحقيقة برضه إن السادة الملطوعين كبروا دماغهم بالقوى وقالوا (الغايب حجته معاه) وجايز كان فيه خنقة مرور فوق.. مش برضه فوق ممكن تحصل خنقة؟!

وبعدين ده مش جاي على بغلة زي المتنبي ولا راكب (فيتون) زي شوقي بيه لأ لأ.. إصحى للكلام معايا.. ده جاي عقبال أمالتك على (الأير.. باظ) الخصوصية تبعه. وأخيراً وبعد طول انتظار وصل الشاعر الأمير لانج وسط عاصفة من التصفيق الحاد والتهليل والتكبير والهتاف بحياة الوحدة العربية وكردون سميك من البودي جارد الذين قدرت وكالات الأنباء عددهم بما يراوح بين الميتين وخمسين والتلمتمية فرد مسلح!! لأن برضه الاحتياط واجب. مين عارف مش ممكن أبو فراس عامل له كمين من فرسان بني حمدان والجدع المجنون اللي اسمه عنترة العبسي يكون لابد له في غيط الدرة اللي ورا الماريوت؟.. ما اطولش عليك بدأ الأمير لانج في إلقاء شعره.. إن حد يفهم حرف م اللي بيقوله؟ أبداً وساد القاعة المكيفة الفاخرة المغلقة سكون من النوع الذي يسبق العاصفة وكادت تحدث الطامة لولا عناية الله. اللي ألهم كبير البودي جارد (السميدع) فصرخ في الحاضرين (هيا هيا صفجوا يرحم والديكم) وتحول كل أفراد جيش البودي تلتميت (هلف) بيصرخوا في نفس واحد (هيا صفجوا يرحم والديكم)، والجمع السعيد كلهم بيصفجوا يرحم والديهم.. والأمير لانج يلقي شعره اللي مش مفهوم واللي قال عنه الأستاذ منصور يرحم والديه (رغم أن اللغة لم تكن مفهومة إلا أننا استمتعنا بالمعاني الجديدة والصور المركبة)!!

ويبدو والله أعلم أن (التصفيج) كان قوياً لدرجة إنه كان بيطلع شرار، لأن الصحافة الخليجية طلعت تاني يوم توصف اللي حصل فقالت إن الأمير أضاء ليل القاهرة.. ويبدو تاني والله أعلم برضه إن اللي اختشوا ماتوا.

عاشق مصر

شمس الشموسه « حمد لله ع السلامة »

على الطائر الميمون « وما حدش يسألني يعني إيه الطائر الميمون » عاد بسلامة الله إلى أرض الوطن مقريزي هذا الزمان المعروف إدارياً باسم صلاح عيسى (أحمد يا رب) وصلاح عيسى (أحمدك يا رب) هو الفلاح الفصيح اللي غرس لشوشته في عشق طين مصر المحروسة، وكلفه عشقه أجمل سنوات الصبا والشباب اللي أضاعها في سجون ومعتقلات الرئيسين عبد الناصر والسادات بتهمة ممارسة العشق السري في زمن الفعل الفاضح!!

ومن حسن حظي إني زاملت صلاح عيسى رحلة العشق والسجن ولكم أمتعني السفر، ولكم أسعدتني الصحبة لأن صلاح عيسى المدهش الممتع على الورق شديد الفتنة والإبهار على الطبيعة، ومش ممكن تحس في صحبته إنك في سجن!

يعني أنا فاكرك في حبسة أول يناير ١٩٧٥ إننا كنا سوا في عنبر التجربة في ليمان طرة: وعنبر التجربة ده مخصص لعتاة المذنبين والخارجين على قوانين السجن اللي ما بيتحوقش فيهم زنازين عنبر التأديب فيقوموا حدفنيهم على عنبر التجربة للخلاص النهائي منهم لأن الإقامة في هذه الزنازين لمدة أسبوع كفيلة بتدمير أي كائن حي مهما بلغت قوة احتماله!

وأنا فاكر إنه بعد تساقط عدد كبير من الزملاء، صرعى المرض والأعباء وبعد اتصالات مكثفة للنائب العام ووزير العدل وبعض الشرفاء من أعضاء مجلس الشعب زارنا في عنبر التجربة الدكتور عبد القادر الحسيني مدير الإدارة الطبية لمصلحة السجون، وبعد المعاينة والكشف على المرضى كتب تقريراً مطولاً كان أهم ما فيه أن هذه الزنازين لا تصح لسكنى الحوايانات!!

وكان صاحب فكرة وضعنا في هذه المهلكة موظف تعيس تافه اسمه اللواء (ح. ز) مدير عام المنطقة المركزية لسجون منطقة طرة، من باب التزلف لمباحث أمن الدولة اللي كانت على علم تام بالممارسات الدنيئة لهذا اللص – حتى أنه كان بيتاجر في البلوبيف والشاي الناشف وسجاير البلمونت وورق البافرة اللي هو الشيء لزوم الشيء! وكان قائد عنبر التجربة النقيب (مخلة ع. م) وكان الله يمسيه بكل خير من النوع المجهول المتعالي وزي ما تقول إنها جت له على الطبطاب؟ فمجرد ما عرف إنه هيمسك عنبر السياسيين. لوى لسانه وبدأ يتحدث الفصحى « من وجهة نظره طبعًا » فتحول بفضل الله ومشيئته إلى أضحكوة ومتعة وسليوه نضيع بها ملل العفن وكآبة المكان، ومن إبداعات النقيب المذكور الخالدة أنه أثناء النقاش معنا في مشكلة عدم وجود نور داخل الزنازين بسبب عدم وجود اللمبات التي كانت مكدسة في مخازن السجن فوجئنا بيه بيصرخ في وجوهنا بعبارته الخالدة: « أيوا المخازن مليانة لمض لكن لازملها إجراءات واللا انتوا فاهمين إن العملية « استجافا ».

وبعدما انحسرت موجة الضحك فوجئنا بصلاح عيسى بيقول لنا:

« انتوا بتضحكوا على إيه يا جهلة؟ لازم تعرفوا إننا بنعيش الآن لحظة تاريخية أضيفت فيها مفردة مرادفة لقاموس اللغة « الأم » ومن هذه اللحظة أصبحت من حق أي ناطق بالضاد إنه يقول استجافا بدلاً من جزافًا ولأن حبسة يناير ١٩٧٥ كانت عشوائية فقد أطلق عليها صلاح عيسى لقب « حبسة استجافا ».

وقد عاد استجافا من « لندره » بسلامة الله بعد عملية سباكة عمومية وتوسيع وتسليك بشرايين قلبه المريض.. بعشق مصر ولما سألته في التليفون « إيه بالتحديد اللي كان وحشك في مصر؟ » قال لي بدون تردد « شمسها يا أبو النجوم لأن لندن مدينة رمادية كئيبة تشرق شمسها إذا أشرقت في منتصف النهار وتغرب في موعد أذان العصر. ولذلك قطعت فترة النقابة وحملت قلبي المريض على متن طائرة ألمانية لمدة ١٢ ساعة طيران متواصل لأن ده كان الخيار الوحيد أمامي لسرعة العودة إلى أحضان بهية وشمسها الدافية الصافية وناسها اللي مالهومش في العالم زي » حمد الله على السلامة يا صلاح، ألف حمدا لله على السلامة من المرض والسفر يا أجمل استجافا، وكلنا في انتظار أن تشرق على صفحات الدستوري زي شمس مصر الشموسة ومادمت ما انتاش قد العيا متبقاش تعيا تاني.

كل ما تهل البشاير من يناير كل عام

الساعة تلاتة بعد نص الليل، والدنيا بتشتي وبرد يناير بيخرم العضم لقيت لك الرزع ع الباب.. بصيت على زوجتي عزة لقيتها بتاكل رز بلبن مع الملايكة. قمت فتحت الباب لقيت لك الهلمة إياها.. مباحث أمن الدولة، وهبة للنبي كنت مشحون في البوكس وعلى ليمان طرة حيث كانت تنتظرني مفاجأة غير سارة.. فما إن دلفت من الباب حتى فوجئت بقوة مهولة مكونة من حوالي خمسين عسكري ومخبر وحوالي عشر ظباط على رأسهم السيد اللواء مدير المنطقة المركزية اللي مش ح اشرفه بذكر اسمه ومش ح أطلعه من مزبلة التاريخ اللي استقر فيها نهائيًا. القصد.. كانت الهلمة دي كلها منتظرة العبد الفقير عشان تفتشه وفي الوقت نفسه تعمل له كارت إرهاب، وبدأت عملية التفتيش وانتهت وفوجئت بسيادة اللواء بيشخط في الظابط ويقول له:

- انت بتفتشه ولا بتزغزغه.. فتشه يا صول عوض فتشه تفتيش ذاتي.

وفوجئت بأنهم بقلعوني هدومي في البرد الزمهرير ده لدرجة إني كنت ح اتجمد. لكن كنت عامل متماسك عشان ماشمتش العدا فيَّا، وبعد ما انتهى التفتيش وارتديت ملابسي سألت سيادة اللوا: انت كنت بتفتشني على إيه؟

قال لي: كنت بافتش على قلم علشان ما تقعدش تنطط لي وتكتب أشعارك الحلمنتيشي دي وتقرفنا معاك.

قلت له:

وخلاص اتطمنت؟

قال:

ميه المية. واتفضل بقبيتك بيتك.

قلت له:

- وحياة أمي لا طلَّع قصيدة الصبح من هنا.

ودخلت وأنا مش عارف قلت له كده ليه وبمجرد ما دخلت الزنزانة عنبر التجربة راح شيطان الشعر لابسني ورحت كاتب القصيدة في ظرف نص ساعة وما هانش عليّ أنام ولا أسيب الناس تنام ورحت زاعق:

- إسمع زانازين الطلبة.

وتدافعت الأصوات من داخل الزنازين – أبو النجوم – أهلاً بيك في وطنك التاني – لسه فيه حد برا...؟

قلت لهم:

أنا كتبت قصيدة جديدة

قالو لي:

سمعنا

قلت لهم:

حد نازل نيابة بكره..؟

قالو لي: أيوه

ولقيت لك يجي تمانية نازلين نيابة بكرة وكان من ضمنهم جمال فهمي قلت لهم:

- طيب اللي نازلين النيابة كل واحد فيكم يحفظ جزء وجمعوهم على بعض برا قالوا:

- ماشي

وبدأت أقول:

كل ما تهل البشاير

من يناير كل عام
يدخل النور الزنازن
يطرد الخوف
والضلام
يا نسيم السجن ميِّل
ع العتب وارمي السلام
زهَّر النوار وعشش
في الزنازين الحمام
من سكون السجن صوتي
نبض قلبي من تابوتي
بيقولوا لك يا حبيبتي
كلمتي
من بطن حوتي
سلمي لي ع الحبايب
يا حبيبتي
سلمي لي
كل حب وله نصيبه
من سلامي
بلغي لي
احضني العالم عشاني
بين عيونك
وابعتي لي
نظرة
منها أشوف حبايبي
واشفي قلبي
واسأليلي
كل عالم في بلدنا
كل برج وكل مادنة
كل صاحب من صحابنا
كل عيل.. من ولادنا
حد فيهم شاف علامة
من علامات القيامة
قبل ما تهل البشاير
يوم تمنتاشر يناير
لما قامت مصر قوه

بعد ما ظنوها نومه
تلعن الجوع والمذلة
والمظالم والحكومة
سلمى لي ع الولاد السمر
خضر العمر
في عموم الحواري
سلمي لي
ع البنات
المخطوبين في المهد
لسرير الجواري
واسأليلي بالعتاب
كل قارئ في الكتاب
حد فيهم كان يصدق
بعد جهل
وبعد موت
إن حس الشعب يسبق
أي فكر وأي صوت
هي دي مصر العظيمة
يا حبيبتي
هي مصر
اللي فضلتي في هواها
عِشّنا.. على ألف قصر
هي دي يا عزة مصر
هي دي يا عزة.. مصر.

عبيط. ولا بتستعبط؟!

في هذا الوطن السعيد.. كل شيء بمواسم أصل احنا ولاد النيل والنيل أبو المواسم من عصر أيزيس وأوزوريس وست. والبت عروسة النيل. حزر فزر سيادتك وقول.. إحنا في موسم إيه دلوقتي؟ وخصيمك النبي ما تجيب سيرة موسم الامتحانات.. الناس مش ناقصه قلق وحسك عينك يا جميل تقول إن احنا مثلاً في موسم المانجة لأن ده شيء ما يخصناش. وإن غلب حمارك أنا أقول لك وأكل من بيتنا إحنا في موسم إيه؟ إحنا يا سيدي المحترم في موسم السطو الفني اللي بيسموه من باب الأدب – الاقتباس – والاقتباس كلمة اكتشفها النحوي المصري القديم (عبد الوهاب رع) الشهير بمطرب الملوك والأمراء وموسيقار الأجيال اللواء الدكتور محمد عبد الوهاب ليضفي بها الشرعية أو المشروعية على ناصية شارع الخرنفش بجوار مسجد سيدي عبد الوهاب الشعراني الصوفي المصري الأشهر رضي الله تعالى عنه وارضاه ونفعنا بعلمه وبركته.. أيمن. وقد أنجب (عبد الوهاب رع)عدة أجيال متعاقبة من الاقتباسيين أو – المقتبسة العرب – بعضهم حاكاه وبعضهم تفوق عليه.

فاختلط الحابل بالنابل وتحول سوق الفن إلى سويقة بلا ضوابط ولا قوانين ولا أعراف وأصبح الاقتباس هو سيد الموقف وهو القاعدة وما عداه هو الاستثناء ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وبدون أدنى خجل صدر هذه الأيام شريط كاسيت – لملحمة أدهم الشرقاوي الشهيرة التي أبدعها صياغة ولحنًا الفنان الراحل المظلوم – محمود إسماعيل جاد – وعلى غلاف الشريط مكتوب الآتي – ملحمة آدم الشرقاوي بتوزيع جديد بتوزيع جديد! كلمات محمود إسماعيل جاد وألحان محمد رشدي!! توزيع يحيى الموجي!! ولو لم أكن قد سمعت اللحن الجديد بحذافيره لاندهشت من الاكتشاف المتأخر لموهبة التلحين داخل الأخ محمد رشدي وقلت في عقل بالي – قادر على كل شيء! ما هي مرات سيدنا زكريا خلفت سيدنا يحيى وهي فوق التسعين وسبحان من يحيي العظام وهي رميم، لكن إنك يا أخ رشدي تجيب لحن الراجل اللي مات وتحط عليه اسمك عشان ما تدفعش حق التلحين للورثة؟ طب ما انت برضه ما دفعتش حق التأليف وكتبت على غلاف الشريط إن الطبع تم بموافقة المؤلف والملحن.. ولو انت عارف تبقى بتستعبط؟ قول لي بقى عبيط.. ولا بتستعبط نيجي بقى للشاب الموهوب يحيى الموجي ونسأله.. توزيع إيه اللي انت وزعته يا عم يحيى؟ انت بتسمي شوية الحلل اللي انت بتخبط عليهم دول توزيع؟ بذمتي عيب اللي انت عامله ده.. لو كان رأيك إن سويقة الفن مبقاش فيها عيب في ظل سيطرة – المقتبسة العرب – فانت حر في رأيك أنا بس عايز أذكرك بأنك ابن محمد الموجي وإن محمد الموجي هذا عاش ومات مبدع فرض ذوقه على الوجدان العربي وفرض احترامه على المبدعين والنقاد العرب لأنه وبمنتهى البساطة عمره ما اقتبس لا من بيتهوفن ولا من شوبان ولا من موزارت ولا من عم أمين بياع حب العزيز.. ويا عزيز يا عزيز كبه تاخد لنجليز.

وإذا أتتك مذمتي

المعارك الثقافية والفنية – كانت وما زالت وستظل ضرورة لاستمرار وتطوير وازدهار الإبداع في المجتمعات الديمقراطية المتحضرة. والفنان الكبير عمار الشرعي هو واحد من فنانينا المثقفين القلائل المؤهلين علمياً لأثارة وخوض هذه المعارك في مجال تخصصه وهو الموسيقى والغناء.. وكان عمار قد بدأ في كتابة سلسلة من المقالات النقدية في « الأهرام العربي » تناول فيها محأولاًت المايسترو سليم سحاب إعادة توزيع ألحان السنباطي وغيره من كبار الملحنين المصريين. والذي يعرف عمار الشريعي لا يفاجأ بالعنوان الثابت لسلسلة مقالاته هذه وهو – سحاب الله السادس عشر – على وزن « حسب الله السادس عشر ».

ولأن عمار الشريعي مريض بـ « خفة الدم » فلا يمكن تفسير عنوان مقالاته بأنه إهانة مقصودة للأستاذ سحاب لأن سلسلة المقالات نفسها تنطوي على قدر كبير من النقد العلمي الموضوعي والبناء لمحأولاًت الأستاذ سحاب إعادة توزيع الألحان القديمة ولكن بعض الصيادين في مياه البرك والمستنقعات وجدوها فرصة أو أوكازيون لممارسة مهنتهم فخرجوا علينا برائحة يفوح منها حقد الصغار والمشكلة ليست في أن يتحول أي فنان في حجم عمار الشريعي إلى هدف لشتائم وسباب المحبطين فهذه هي ضريبة الموهبة والنجاح وقد سبقنا عمنا المتنبي حين قال:

وإذا أتتك مذمتي من ناقص

فهي الشهادة لي بأني.. كامل

لكن المشكلة الحقيقة تكمن في محأولاًت بعض الموتورين لتصوير الموضوع على أنه معركة عشائرية فيقال – لأن الأستاذ سليم سحاب لبناني الأصل فإن عمار الشريعي يهاجمه من هذا المنطق! – هنا يجب أن نصرخ جميعًا في وجه هؤلاء – مكانكم – فهذا الأسلوب الرخيص لن ينطلي على أحد ولن يرهب أحدًا التاريخ يقول لنا إن مصر كانت ومازالت وسوف تظل الحاضنة الرؤوم للثقافة العربية والفن العربي تفتح قلبها وعقلها لكل فن حقيقي ولكل مبدع أصيل وفي هذه الأيام بالتحديد يستضيف المسرح القومي – أبو المسارح المصرية – فرقة الفنانة العربية الكبيرة نضال الأشقر التي تعرض مسرحية – طقوس الإشارات والتحولات – وهي آخر ما أبدع الفنان العظيم الراحل سعد الله ونوس.. وبالرغم من انعدام الدعاية الإعلامية فالمسرح يمتلئ كل ليلة بعشاق سعد الله ونوس وفنه العظيم الباقي.. زد على هذا أن عمار الشريعي لا يخفي ميوله الناصرية في أي مناسبة ولا إعجابه الشديد بالزعيم الراحل جمال عبد الناصر فكيف يكون ناصري الهوى وفي نفس الوقت معادياً للعروبة طالع بمنظرين يعني؟!

يا ناس اتقوا الله في هذا الوطن وارفعوا أيديكم عن المبدعين الكبار ودعوا مائة زهرة تتفتح وافتحوا الشبابيك للشمس والهواء وكفانا ظلماً وإظلاماً وعفناً.

وقد أعجبتني عبارة للصديقة عبلة الرويني قالتها أثناء مناقشة هذا الموضوع وهي تنفي عن الفنان عمار الشريعي تهمة التعصب والعشائرية، قالت: أي فنان جميل في أي مكان في العالم هو مصري بالضرورة.

إيه بقى؟

يا عيني.. بعض الناس الطيبين في بلدنا الغلبانة بيتهيألهم أن نتائج الانتخابات النيابية اللي جرت في بريطانيا الأسبوع اللي فات ممكن تسبب إحراج للأحزاب العربية المزمنة في الحكم والسلطة والسلطة.

ليه بقى؟ كلنا طبعًا عارفين إن حزب المحافظين اللي بيتزعمه الصهيوني المعفن النجس جون ميجور سقط في هذه الانتخابات على جدور رقبته سقطة يمكن ما يقومش منها وقولوا إن شاء الله بينما حزب العمال اللي كان بره السلطة سنوات طويلة اكتسح هذه الانتخابات وأتى بجيش جرار من النواب الشباب المؤمنين بالفكر الاشتراكي لأنهم في الأساس قيادات عمالية حقيقية. فبناء عليه « أسيادنا البُعدة » هيحصل لهم نوع من القلق أو الخجل أو إلى آخر هذه التصورات العبيطة؟

لا يا سيدي تقدر سعادتك تطمئن وتحط في بطن سعادتك شونة بطيخ صيفي بحالها.. محدش هنا لا حيقلق ولا حيخجل ولا حيتعتع من ع الكرسي إلا وهو قتيل أو نافق.. وهنروح بعيد ليه؟ إحنا هنا عدم المؤاخذة فيه حاجة عندنا اسمها الرئيس السابق؟

مفيش غير الرجل الطيب اللي اسمه سوار الذهب هو اللي ساب السلطة في السودان وهو على قيد الحياة وده في شرعهم راجل أهبل. أما ما عداه فكلهم يا إما الرئيس الراكز يا إما الرئيس الراحل. ناهيك عن طوال العمر سلاطين وملوك ومشايخ النفط العربي اللي ما حدش فيهم عايز يموت ولو سيادتك عملت مسح جغرافي استكشافي للمنطقة تبعنا هتصاب سعادتك بالذهول التام أو الضغط الزؤام خد عنك مثلاً الشقيقة الجزائر بلد المليون شهيد ربنا ابتلاها بعد الاستعمار الفرنسي الغاشم بديناصور اسمه حزب جبهة التحرير فضل راكز على قلب الجزائر لحد ما خربها مداين ولو سعادتك شرقت شوية هتلاقي كائن غريب اسمه حزب البعث العربي الاشتراكي مقسوم نصين نص متمترس في سوريا ونص جاثم على صدر العراق الشقيق بقيادة الفتى الذهبي صدام الضرغام اللي ما حدش قادر يفهم هو إيه بالظبط ومع مين وضد مين! المهم أن العراق خرب وهو برضه قاعد. تعالى بقى سعادتك للسودان الغلبان ومن نميرى للترابي يا قلبي لا تحزن وهل تعلم سعادتك أن علبة السجاير في السودان بقت بـ ١٨٠ جنيه وكل ده طبعًا من فيض بركات (الترابي خليفة) خليفة زعيم الجبهة الإسلامية الحاكمة هناك ولسه اللي يعيش ياما يشوف واللي يمشي يشوف أكتر.

نيجي بقى لمصر المحروسة وحزبها الراكز جدًا فحنلاقيه والشهادة لله أذكى الأحزاب العربية المزمنة وأكثرها فهلوة لأنه بصراحة كده غاوي تجديد.. وبيني وبينك التجديد مش وحش برضه هو صحيح مجرد تجديد في « اليقظة » من هيئة التحرير للاتحاد الاشتراكي لحزب مصر للحزب الوطني والبقية تأتي لكن أهو تجديد وزي ما بيقولوا « رزق الهبل على المجانين » تيجي انت بقى تقول لي انتخابات بريطانيا؟ طب ما احنا عندنا انتخابات اليمن السعيد اللي وقع فيها، ٢١ قتيل وهم لسه بيقولوا بسم الله الرحمن الرحيم وده طبعاً من شدة الإقبال ومش هتصدقني يا مؤمن إنهم عمالين يفرزوا في الأصوات بقالهم ٣ أسابيع! يخرج من كوع الإنجليز يعملوا الحركة دي؟ واسمع بقى اللي جاي ده: وصلت الديمقراطية في اليمن السعيد لدرجة إن عدد الطعون بالتزوير في الانتخابات اللي لسه مخلصتش ٣٠٠ طعن، مش دي بذمتك ديمقراطية يقدر « سريخ ابن يومين في بريطانيا العظمى يقول فيه تزوير ولا حتى تلت التلاتة كام »!. إيه بقى؟

اللهم افضحنا.. ولا تسترنا

في الأفلام العربي وأحيانًا الهندي بيضطر الدكتور للتضحية بالجنين عشان الأم تعيش وأحيانًا يضطر الدكتور للتضحية بالجنين والأم عشان الأب يعيش، واللي ناقص هو إن الدكتور يضطر يضحي بالجنين والأم والأب عشان الدكتور يعيش! وهو ده بالظبط اللي عمله الدكتور أنور السادات لما ارتكب جريمة السفر إلى القدس وهو مترفع بالمسدس على طريقة الأفلام الأمريكاني وحاطط إيديه على دماغه زي أسرى الحرب أو شايل كفنه على إيده على طريقة أهل الصعيد. واستطاعت أجهزة الإعلام الرسمية في مصر إنها تحول هذه الفعلة المهينة إلى عمل بطولي وتحول الفاعل إلى بطل الحرب والسلام »!

وبالأمس احتفلت نفس أجهزة الأعلام بعيد تحرير سيناء ويا شوم ما احتلفت، وكأن بطولات أبناء مصر البواسل ودماء شهدائنا الأطهار أصبحت سبوبة تجلب الأبيح وتفرح العيال.

وقد تجلت أحط أنواع التفاهة والإسفاف والاستخفاف فيما سمي بالحفل الساهر الكبير اللي أقيم في قصر الثقافة العريش ويعلم الله وحده مين اللي اختار المذيعة الكرومباوية اللي قدمت فقرات الحفل وجعلتنا أمام جهاز التليفزيون اللعين نبكي على الأحياء بدل الدموع دم لدرجة إن العين ما بقاش فيها دموع للشهداء! وجايبين لعيب كورة بائس عشان يقدم مطرب أكثر بؤسًا فيبتدي بسلامته التقديم بجملة غريبة. قال لافض فوه: « أنا عايز قبل ما أقدم أذكركو بحاجة بسيطة وهي الشهداء »، وأنا الحقيقة لغاية دلوقتي مش قادر أفهم إيه البساطة اللي في الموضوع! ثم أدلي بدلوه في المسألة النقدية فقال عن المطرب تبعه إنه طار بالأغنية الشعبية من المحلية إلى العالمية!! وبعده جابوا ولية ميتة على روحها من الضحك مش عارف ليه؟ وقالوا لنا إن دي بقى هي مطربة الشباب وبعدما فتحت جاعورتها بالكلام التافه الفسل اللي بتغنيه من خلال كم مهول من الاستظراف عرفت ليه الشباب اضطر إنه يعبد الشيطان ويروح السجن أرحم له.. والشيء اللي لازم له وقفة بالفعل هو التجاهل المتعمد لأسماء الشعراء والملحنين اللي أبدعوا الأعمال الفنية وكأنها تكية مالهاش صاحب أو كأن السيد المطرب هو اللي كتب وهو اللي لحن وهو اللي وزع وهو اللي عزف وهو اللي غنى، وعشان كده هو اللي بيعكم العكمة الكبيرة بعدما يرش شوية فتافيت عالشاعر والملحن وباقي الهلمة.

والحقيقة إن الحكاية دي مش بنت النهاردة.. لا.. ده مرض مزمن بيعاني منه شعراء وملحنو الأغنية العربية من أيام بيرم التونسي وبديع خيري ويونس القاضي ومحمود الشريف وعزت الجاهلي اللي كانت شكواهم زمان مصدرها حرصهم على إن المستمع يعرفهم كمبدعين لهذه الكلمات الجميلة وهذه الألحان العذبة وده أبسط حقوقهم. أما اليوم وفي وسط هذا الكم المهول من الركام والزبالة فقد أصبح من حق الشعراء والملحنين الحقيقين أن يصرخوا من على أعلى مبنى بدعاء سيدي أبو اليزيد البسطامي (اللهم افضحنا ولا تسترنا حتى يتبين الخبيث من الطيب.

مش جايز برضه؟

- فاتش عليكو الديب الديب السحراوي؟
- فات فات – وف ديله؟ – سبع لفات – والدبة؟ – وقعت في البير
- وصاحبها؟ واحد خنزير

وفضل أخونا الديب السحراوي عامل لي كاللو في نافوخي ومشتت أفكاري وحارم عنيا لذيذ المنام.. خصوصًا وإن اللعبة دي كانت من الفقرات الثابتة في برنامج ليالي قريتنا تحت ضي القمر.. فكنت بعد انتهاء السهرة أروح على بيتنا مشغول الفكر والخاطر بشأن هذا الديب السحراوي الذي فات فات وف ديله سبع لفات وإيه كنه العلاقة اللي بينه وبين الدبة اللي وقعت في البير. بينما صاحبها واحد خنزير! وأفضل أتقلب ع الجنبين لحد ما ياخدني النوم دون أن أصل إلى الإجابة الصحيحة؟ وروح يا زمان الطفولة والبراءة وتعالى يا زمان العجب. ودارت الأيام ولفت الأيام واتخرج الديب الديب السحراوي من كلية الحقوق ولا تتعجب يا أخي إنها إرادة الله! واحترف مهنة المحاماة اللي هي بدون مؤاخذة مهنة الدفاع عن المظلومين ضد الظلمة. مهنة انتصار الحق على الباطل وانتشار النور في البر والبحر والجو فياترى يا هلترا ماذا فعل الكابتن الديب الديب السحراوي من داخل الرداء الأسود المقدس – روب المحاماه – قاللك – أول ما شطح نطح وسلك السكة العوجة وتبنَّى بكل فخر قضايا المهربين والقوادين ولصوص المال العام – وأخيرًا الجواسيس ولا تتعجب يا أخي إنها إرادة الدولار ولأن المحاماه أصبحت في هذا الزمن المدوحس زي التجارة شطارة.. فالبلية لعبت مع الديب الديب السحراوي وقدر بشطارته وفهلوته يكسب مجموعة من القضايا الخسرانة ويجيب حكم البراءة والعياقة لمجموعة من عتاة اللصوص ومعتادي الإجرام ويقبض الدولارات ويبل الشربات

ويضرب ديمقراطية العدالة في الصميم ويرفع في ساحة القضاء المقدس شعار (اللي معاه قرش ابنه يزمر.. وتموت بحسره يا عديم المصارى!).

ولأن البحر يحب الزيادة والميه تجيب ميه.. فرد الديب السحراوي قلوع مركبه في بحر الظلمات وركب جميع الأمواج وسافر على سكة الندامة اللي هي من وجهة نظر أمثاله، تروح تروح. وترجع بالسلامة!.

وبالأمس القريب – كزعم الإخوة النحاة – سجل الديب السحراوي هدفًا ملعوبًا في مرمى القانون.. بعدما استغل خطأ إجرائيًا وحصل على حكم ببطلان قرار ووقف متهم معروف عن عمله وبعودة المذكور إلى عمله في التو واللحظة. وطلعت الصحف الصفرا تاني يوم تهلل وتكبر وناشرة الخبر في صدر صفحاتها الأولى بلهجة كلها شماتة مش عارف في مين؟! وحاولت تدي القارئ إيحاء بإن الأخ المتهم راجل غلبان وبرئ ومظلوم ومحروم ومش بعيد في زمان الديب الديب لسحراوي إنه يلجأ للقضاء ويطالب برد شرف أدبيًا وتعويضه ماديًا عن القذف في ذمته الضيقة! وقديمًا قال الشاعر العربي :

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم، وصدقوني الموضوع من الألف للياء لا يستحق أن تنتطح فيه شاتان – لأنه موضوع وسخ م الباب للمحراب – ما تفرض إن الأخ المتهم رجع شغله. برضه مش حيزود الطينة بلة. أو ما تفرض إنه توقف عن العمل أو حتى دخل السجن. إيه اللي حيعود علينا؟ كان عاد علينا إيه من اكتشافات البترول والفحم والأرواح والبذنجان أبو خل؟ أنا بس حاطط إيدي على قلبي لأن الديب الديب السحراوي دخل مرحلة جديدة وبدأ يتبنى قضايا الخيانة العظمى وحيترافع عن الجواسيس.

هل هو مسيحي؟

السيما الأمريكاني « سيما أونطة » وبتلعب بالبيضه والحجر والتلت ورقات كمان، وأحيانًا ممكن تلعب « رفة » و « سيف تحت كوبري باغوص » من باب كل واحد حر في الشاشة تبعه. بالمقابل إحنا كمان حرين في دماغنا، اللي يشجع طرزان يشجعه، واللي يصدق رامبو يصدقه واللي يعز « ما كجيفر » يعزه واللي يحب النبي يزق!! لأن دي كلها في النهاية أفلام داخله في إطار ألعاب البكش وأكل العيش وزق الهبل دوبل زي ما بيقول المثل.

إنما لما المسائل تدخل في السياسة وتمس رموز عزيزة علينا إحنا شعوب العالم التالت يبقى الموضوع عايز له قعدة أو وقفة أو عيد.

الأسبوع اللي فات تفضل علينا تليفزيون الست سهير وأذاع فيلم أمريكاني الصنع بطولة نجمنا العالمي جدًا عمر الشريف عن قصة صعود واستشهاد المناضل العظيم أرنستوتشي جيفارا، وجيفارا للأجيال التي لا تعرفه هو الطبيب الأمريكي اللاتيني الذي اعتنق الفكر الاشتراكي وترك مهنة الطب ليكون مع رفيق نضاله الرئيس الكوبي الحالي جنرال فيديل كاسترو جيشًا ثوريًا للخلاص من الهيمنة الأمريكية ومن أذنابها الذين يعتلون كراسي الحكم في أغلب دول أمريكا اللاتينية ينفذون مشيئة أسيادهم في واشنطن ويحكمون شعوبهم بالحديد والنار والقوانين الاستثنائية لصالح السيد الأمريكي اللص!!

ومن جبال الانديز وثب الثوار بقيادة جيفارا وكاسترو على عرش الدكتاتور العميل السابق باتستا واستولوا على السلطة في كوبا وسلموا الوطن هناك لصاحبه الحقيقي شعب كوبا وبطبيعة الحال كان هذه أول ضربة موجعة توجه للمصالح الأمريكية في أمريكا اللاتينية وكعادة الأمريكان في الغدو والخسة والخيانة دبروا بليل هجومًا مسلحًا على كوبا الثورة ولكن الثوار كانوا لهم بالمرصاد، ورنوهم علقة موت، في خليج الخنازير وردوهم على أعقابهم خائبين وسط دهشة وفرحة العالم ويومها جلجل صوت « خروشوف » رئيس الاتحاد السوفيتي آنذاك « الويل لمن يقترب من جزيرة الحرية » وكان بإمكان « جيفارا » أن يكتفي بهذا خصوصًا بعد أن عين وزيرًا في حكومة الثورة الكوبية ولكن اتخذ قراره الثوري بعدم البقاء تحت أي سقف حتى تتحرر كل أمريكا اللاتينية من الاستعمار الأمريكي وسافر إلى بوليفيا وهناك كون جيشًا قويًا بدأ يكيل الضربات الموجعة للنظام الحاكم هناك وكان لابد للمخابرات المركزية الأمريكية أن تلجأ إلى اللعبة القديمة فبحثت عن « يهوذا » وسرعان ما وجدته وفي أيام قد سلمهم رأس مسيح القرن العشرين (أرنستو شي جيفارا) حيث قتلوه وصلبوه على شجرة تمامًا كما حدث مع السيد المسيح وحين رأته صاحبة الحقل في الصباح مصلوبًا على شجرة صاحت الفلاحة البسيطة بتلقائية « يا إلهي!! إنه المسيح » أما فيلم الأكاذيب الأمريكاني فقد حاول بمهارة الحواه أن يشوه صورة البطل الرمز ففعل الكثير وكذب الكثير وأنا هنا فقط سوف أرد على سؤال طرحه كاتب السيناريو في المشهد الأخير وبعد مصرع البطل إذ سأل أحدهم: وهل سيدفن على الطريقة المسيحية؟ وجاءه الرد وهو بيت القصيد في الفيلم: وهل هو مسيحي؟!

وردِّى على السيناريست الكذاب هو: مواطنك الذي ألقى القنابل الذرية على هيروشيما ونجازاكي عشرات الآلاف من الأطفال إلى لا شيء.. هل هو مسيحي؟

تكلم الـ.....؟

الأدب فضلوه عن العلم وتوب المرجلة غالي. والجدعنة ما تتشحتش. واللي يحبنا. ما يضربش نار في فرحنا.. حلو الكلام؟

لكن بقى لما يكون الأبعد مش مؤدب وبينه وبين المرجلة تار بايت ومعلوماته عن الجدعنة زي معلوماتي عن مصادر البترول في كوكب المريخ يقوم يجرا اللي جرى ده وأكتر من كده.. ويزيح ربنا.

قال لك يا سيدي الكونجرس الأمريكي رضي الله عنه هايجتمع من غير شر الأسبوع القادم عشان يناقش أوضاع الأقلية المضطهدة في مصر المحروسة! إصحى لـ اللون يا حلاوة وطبعًا المقصود بالأقلية المضطهدة هما المسيحين المصريين! شفت إزاي؟ كلام زي اللي بصحيح يعني!

والكونجرس الأمريكي يا صديقي المستمع كما لا يخفاك هو عبارة عن مجموعة من عتاة المجرمين اللي بيتاجروا في كل حاجة.. السلاح والهيروين والنسوان والغلمان والثعلب فات وف ديله سبع لفات. وكلهم الخالق الناطق بطوش مقلوظة ووشوش حمرا مزنهرة وبيشربوا سيجار هافانا وريحة السبرتو لاحمر فايحة من بقهم وهما بيكلموك وتلاقي بعضهم حالق كابوريا وبعضهم منزل سوالفه على صداغه زي عبد الوهاب القديم وكلهم بلا استثناء بياخدوا حقن (إحليل التمساح) لزوم إثبات الرجولة في المخادع أمام عاهرات العالم وملكات جماله.. يا جماله!

ولأن الكونجرس الأمريكي المذكور انتهى بحمد الله من إنجاز جميع أشغاله اللي منها على سبيل المثال لا الحصر. تجويع شعب العراق حتى النخاع وتحويل المجاهدة أفغانستان – حليفة الأمس – إلى أخطر مركز دولي لتصدير الإرهاب والأفيون. وتمكين الاستطيان الصهيوني من الملابس الداخلية لعرب فلسطين المحتلة وتأمين خطوط شفط النفط العربي حتى الثمالة وبعدين لقيوا أنفسهم قاعدين لا شغلة ولا مشغلة فاتدوروا علينا احنا بقى من باب – الفاضي يعمل قاضي – وعايزين يشتغلونا بقى.. أهلاً أهلاً وفد القللي. أحب أعرفكم يا أخواني إن اللي قال لكم إن المضطهدين في مصر أقلية ضحك عليكم وبناء عليه لازم تغيروا مصادركم.. أما عبارة مسيحيين ومسلمين فدي مش موجودة من أساسه في العملية الاضطهادية على أرض مصر المحروسة لأنه عدم المؤاخذة ما حدش فاضي يفرز وينقي وهو بيسرق أو بيمارس اضطهاد الإنسان لأخيه الإنسان ثم انتوا إيش أخششكوا في موضوعات ما تخصكوش؟ طيب ما احنا برضه عندنا – كناجره – زيكم مقضيينها نوم في المجلس الموقر. ركك بس تفتح التليفزيون عليهم تلاقيهم على الأرائك متكئين. وبإذن واحد أحد أول ما يصحوا ويقولوا – موافقون – أبقى أكلمهم لكو.

لكن تعالوا هنا.. اضطهاد إيه اللي انت جاي تقول عليه هو انتوا لحقتوا نسيتوا اليفط اللي كانت أول امبارح بس ماليه شوارع نيويورك وباقي المدن الأمريكية ممنوع دخول الكلاب والسود نسيتوا الهنود الحمر اللي اتعرضوا على أديكم لأكبر وأحط عملية إبادة جماعية في التاريخ عشان تستولوا على أرضهم؟ نسيتوا القنابل الذرية اللي رميتوها على هيروشيما ونجازاكي وحرقتوا بيها الحياة؟

المثل بيقول ياه كنا جرة – اللي بيته من قزاز ما يحدفش الناس بالطوب – لكن أرجع وأقول تكلم الـ.... تلهيك واللي فيها تجيبه فيك!

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم. ولا سلام على طعام.

شفتوا آخر خدمة الغز إيه!

الفنانة الكبيرة ميادة الحناوي هي أم كلثوم سوريا وقيثارة حلب الشهباء وهي إلى جانب هذا متيمة بعشق القاهرة عاصمة مصر أم الدنيا وهوليوود الشرق كما كان يطلق عليها – أيام المجد الذي كان –.

وبالمقابل فإن جمهور الطرب الأصيل في مصر المحروسة يبادلها العشق والهوى وينتظر لياليها بفارغ الصبر لأنها من الأشياء الجميلة القليلة الباقية في زمان النفط والقبح والتردي وتقدر سيادتك بمنتهى الثقة إنك تقول إن ميادة الحناوي تحمل الجنسية المصرية بأمر الشعب المصري.

وبناء على ما تقدم ذكره فإن الفنانة ميادة الحناوي زي ما تقول كده بتتلكك على زيارة مصر وما صدقت سمعت إن التليفزيون المصري قرر الاحتفال بمرور ٦٣ عامًا على إنشاء الإذاعة المصرية حتى أسرعت بالاتصال بالأستاذ حمدي الكنيسي لتحجز لها مكانًا في برنامج الحفل وكان شرطها الوحيد أنها تغني بعد موجز الأنباء لظروفها الخاصة. أما ماعدا هذا فلا شيء لأنها ستغني متطوعة حبًا منها لمصر والمصريين ووافق الكنيسي على هذا الشرط المتواضع بعد أن شكرها على هذه المبادرة الكريمة.

ولأن ميادة الحناوي فنانة حقيقية فقد حضرت إلى القاهرة قبل موعد الحفل بأربعة أيام قضتها في بروفات متواصلة على الأغاني اللي حتقدمها في الحفلة « مجانًا » وبديهي أنها دفعت للأساتذة العازفين أجورهم من جيبها الخاص وكله في حب مصر الجميلة يهون.

وجاءت ليلة الحفلة – الفضيحة – واتفرج يا سلام نفس الوجوه المستهلكة لا بسين ماسكات جديدة ومتصورين إنها ممكن تخفي حقيقتهم عن الناس. لكن كذبهم فضحهم ادعى بعضهم أنه كان صديقًا شخصيًا للمرحوم محمد حسن الشجاعي اللي مات قبل ما ييجي بعضهم هذا من بلدهم وبعضهم إدعى لنفسه ألحانًا أصحابها ماتوا من خمستاشر سنة! وبعد وصلة من الكذب والفجر انتقلوا بالمشاهدين إلى فضيحة ترك ميكروفونات الحفل مفتوحة على الاستديو أثناء إذاعة آخر الأنباء ثم جاء الدور على نمرة ميادة الحناوي وصعدت فرقة الأستاذ هاني مهنى التي ستصاحبها إلى المسرح فجأة حصلت غاغة خلف الكواليس.. الست إيناس جوهر صاحبة الليلة أصدرت أوامرها بنزول الفرقة من على المسرح لأن الدور على « مدحت صالح » وميادة تبقى تختم الحفل! واتكهرب الجو أكتر مما هو متكهرب وهدد الأستاذ هاني مهنى بالانسحاب بفرقته وطالبت الفنانة ميادة بالالتزام بالاتفاق الذي تم بينها وبين حمدي الكنيسي رئيس الإذاعة ورضخت الست صاحبة الليلة أو تظاهرت بالرضوخ وصعدت ميادة إلى المسرح وسط عاصفة من الحب والتصفيق، وما إن بدأت الغناء حتى بدأت معاها من خلف الكواليس وصلة من الردح البلدي – انتي يا ختي ياللي بتغني.. ولما انتي عايزة تتسطلني ولا تتقندلي ما ختمتيش ليه. ياللا يا ختي بقى هوينا.

ولأن ميادة الحناوي كانت في مقدمة المسرح ومش ممكن تسمع فقد لجأت الست صاحبة الفرح إلى طريقة عملية جدًا وهي إغلاق الستارة على المطربة أثناء الغناء وسقطت قطعة من الخشب على رأس ميادة الحناوي التي لاذت بالفرار إلى خارج المسرح وركبت عربيتها وقالت يا فكيك.

شفتوا آخر خدمة الغز إيه؟

ورحل مسحراتي مصر الوحيد

ورحل سيد مكاوي مسحراتي مصر الوحيد.. رحل ملحن الليلة الكبيرة ومئات الألحان الجميلة الباقية ليلحق برفيقيه صلاح جاهين وفؤاد حداد وليقدم لهما التقرير الوافي عن حالة الفن الآن في مصر المحروسة « فن الغناء على وجه التحديد » وما أدراك ما فن الغناء الآن؟

وقد توقف قلبه عن النبض صبيحة يوم الاثنين ٩٧/٤/٢١ والغريب في الأمر أنني كنت يوم الأحد ١٩٩٧/٤/٢٠ في منزل الصديق الفنان محمد ثروت وكنا نجتر هموم الوطن وفي مقدمتها بالطبع هم القدس عار العرب وجرحهم النازف وعجزهم المهين وأثناء الحديث عن ضرورة كتابة أغنية حقيقية للقدس ورد اسم سيد مكاوي واتفقنا على الاتصال به تليفونياً الكبير قد تجاوز محنة المرض وبرأ منه تماماً ليقوم بتلحين الأغنية المزمع كتابتها حتى تكون باكورة إبداعه وعودته بعد تمام الشفاء.

ولكن كان للقدر رأي آخر وإنا لله وإنا إليه راجعون.

والموت على المستوى الجماعي هو جزء من حركة الحياة يتم معادلة الجدل.. ولكنه على المستوى الفردي أمر بشع وضيف ثقيل وزائر غير مرغوب فيه تترك زيارته دائماً الحزن والحسرة والهم المقيم لأنه يخطف منا الأحباب الأعزاء على حين غفلة منا فلا نملك إزاءه إلا التسليم والرضا ونحن صاغرون وأذكر بهذه المناسبة أنني في جلسة خاصة جمعتني بالعقيد معمر القذافي قائد الثورة الليبية سألته « هل شعرت بالحزن لوفاة والدك؟ فقال لي إنه فعلاً شعر بالحزن الثقيل ولكنه كان حزناً من نوع خاص، لأن الفقيد لم يكن مجرد والد فقط وإنما كان بمثابة صديق وصديق من النوع الذي قيل فيه « صديقك من صدقك لا من صدقك » ثم تطرق الحديث فيما بيننا عن الكائن المدعو الموت فقال لي العقيد القذافي أن الموت لا ينتصر بالضرورة في أول هجمة يشنها على الكائن الحي وضرب لي مثلاً بوالده الذي أصيب برصاصة في صدره إبان اشتراكه في مقاومة الاحتلال الإيطالي للقطر الشقيق ولكنه عولج منها وشفى تماماً وعاود الحياة وبعدها سقط من أعلى شجرة سامقة وظن الجميع أنه فارق الحياة ولكنه نجا أيضاً هذه المرة وعاود الحياة بعد شفائه ثم سقط عليه جدار هائل أثناء عملية ترميم للمنزل فقالوا « التالية ثابتة » ولكنه خيب ظنونهم وعاد للحياة أكثر نشاطاً وأشد عشقاً بعد تجبير الكسور وترميم العظام وأخيراً انتصر الموت على الحياة ومات والد العقيد القذافي بلا علة ولا سبب ليؤكد حقيقة أن الموت ينتصر على الحياة بالدأب والإصرار. هذا على المستوى الفردي ولكن على المستوى الجماعي تنتصر الحياة دائماً على الموت لأنها لا تتوقف عند موت الفرد مهما كان حجمه بل تستمر في الإنطلاق الخلاق تبدع وتتألق وتأتي بالجديد المدهش وتدحض المقولة الخاطئة السائدة « لا جديد تحت الشمس فالحياة تأتي كل يوم بجديد ».

رحم الله سيد مكاوي وتجاوز عن سيئاته وجزاه خيراً عما قدم لوطنه ولأمته.

قولوا للموساد بخ يتيخ

في السيرة الهلالية العظيمة يقول الراوي يا سادة يا كرام بعد الصلاه على خير الأنام، سلامتك ياملو عين العاهرة.. يا خليفة إياك عسى الله. من دي الجروح تطيب وأنا ماعنديش أنسب من دا كلام أقوله للفارس الهمام والبطل الضرغام خالد مشعل القيادي البارز في حركة حماس الباسلة.. اللي اتعرض لعملية اغتيال فاشلة ومتعوسة وخايبة الرجا على يد جهاز الموساد الإسرائيلي صاحب الباع والذراع في ممارسة أحط أسفل أنواع التآمر والخيانة وإزهاق الأرواح البريئة بمنتهى هدوء الأعصاب!

وجريمة الفتى خالد مشعل من وجهة نظر الصهاينة والأمريكان وتوابعهم القفف إنه عبقري مش مكفيه إنه عبقري.. لأ.. دا بسلامته كمان بيسخر عبقريته للدفاع.. قال إيه؟ عن أرضه وأهله وشرفه! بذمة النبي دا اسمه كلام؟ مش فيه ناس بيتفاوضوا؟ مش فيه حاجة اسمها الشريك الأمريكي؟ مش فيه حاجة اسمها مسيرة السلام؟ كل ده ولله مزيد الحمد والشكر متوفر والأشيا رضا وليس في الإمكان أجدع مما كان غيرش فيه ناس أرازل مش مصدقين وبناء عليه بيتصرفوا غلط وهو ده بصراحة الخطر على سيرة عدم المؤاخذة عملية السلام.. يا سلام! وكمان يا سلام.

يا سلام سلم والأرض بتتكلم على أجمل وأحدث فرسان العرب ماركة حماس والجهاد وحزب الله واتفرج يا سلام اللحم الحي بيتحول بقدرة قادر إلى قذيفة بشرية خارج حسابات الكمبيوتر العجيب وفوق قدرات الرصد الدقيق لأحدث أجهزة الرادار الجهنمية والله أكبر على من طغى وتجبر ويا عزيز يا قوي على كل قوي.

وعلى رأي المرحومة أمي – لما ربنا بيغضب على عبده يسلط عليه نفسه! – وهو ده يا سادة يا كرام ما جرى لجهاز الموساد الصهيوني بالكمال والتمام. لأنه وهو بيخطط لتنفيذ جريمته اختار الجنسية الكندية بالذات عشان يزور جوازات سفرها ويزود بيهم السفاحين اللي حينفذوا الجريمة في الأردن فينكشف سترهم ويتمسكوا بالجوازات الكندية المزورة وأتاري كندا دي يا جدع دولة محترمة وشوكتها في ضهرها جتنا ستين نيلة في شوكتنا المسكورة – وبمجرد ما أذيعت تفاصيل التحقيق مع القتلة واتعرفت قصة الجوازات كان السفير الكندي في تل أبيب راكب طيارته المتجهة إلى مطار العاصمة الكندية في رحلة بلا عودة حتى تسوي المشكلة وبالشكل الذي تقرره الحكومة الكندية المحترمة المعتدى عليها وطبقًا للأعراف والقوانين الدولية التي تنظم علاقات الدول بعضها ببعض وسواء انتهى الوضع بالتراضي بين الطرفين أو حتى تجمد الوضع لحين ميسرة فسوف يظل رد الفعل الكندي على جريمة الموساد الذي هو الحاكم الفعلي للكيان الصهيوني يحمل دروسًا مستفادة لمن أراد الإفادة وأخص بالذكر سادتنا وموالينا أصحاب العظمة والجلالة والسمو والفخامة سلاطني وملوك وأمراء ورؤساء الطوائف العربية المتحدة على الاستسلام التام تحت شعار السلام مع عدو متغطرس يمارس الجرائم كما يتنفس.. أنا سايق عليكم حضرة المصطفى تسترجلوا مرة واحدة وتقولوا للحرامي بخ يتبخ وإن ما ابتخش مش حيفكر يسرق تاني.. مش مصدقيني إسألوا عمكوا الموساد تقدر تعملها تاني مع كندا بالذات؟.

هل انتهى الأمر؟

حالة الاكتئاب العام التي يعيشها الشعب المصري الآن في أعقاب مذبحة الأقصر المجرمة هي نفس الحالة التي سبق أن عشناها في أعقاب نكسة ٥ يونيو ٦٧ هذا ومازال السؤال المطروح من ٦٧ قائمًا حتى كتابة هذه السطور: من المسئول عما حدث؟ ولماذا لا يقدم لمحاكمة علنية؟ هل هو فوق القانون؟

وأخيرًا هل انتهى الأمر عند هذا الحد؟

يرجع مرجوعنا للجزء الثالث من حكاية اليويو.. لبد اللبلاب في الدرة للزميل يويو وقررت الالتفاف على رقبته بعد ما شاعت في الأوساط الأمنية اصداء التصريحات العنترية والادعاءات البطولية لليويو وأنه هو اللي أصدر تعليماته « من خارج » لمرؤوسيه في مجلس تحرير المجلة السياحية بعدم نشر مقال اللبلابة لسوء المستوى!

أتاري أثناء عملية استيراد « اسحلة المتطورة سنوات المسلحلة جابوامن ضمن الصفقة أجهزة تصنت متطورة برضه عبارة عن طبنجة تضربها يطلع منها ويرسلها إلى سيارة تكون واقفة على بعد فتسجل مايدور حتى في غرف النوم! « وعلم الإنسان ما لم يعلم ».

يقوم يشاء السميع العليم إن أول تجربة لهذا الجهاز الشيطاني يكون بطلها السيد يويو اللي كان عامل قعدة ع الضيق بمناسبة راس السنة في منزله العامر ومستضيف عطعط بيه وحرمه المصون فقط لا غير – ودارت الكئوس بالرؤوس وانحلت عقدة اللسان وهغاتك يا دردشة والكعادة استحوذ حمادة بيه اليويو على نصيب الأسد من الكلام.. وكلام يجيب كلام دخلوا في المناطق المحرمة اللي هي مجرد الاقتراب منها يودي بني آدم مننا ورا الشمس والعياذ بالله أيامها كان الأستاذ هيكل صدر له تكليف باستلام وزاره الإعلام إلى جانب احتفاظه برئاسة مجلس إدراة مؤسسة « الأهرام »! وقد أثار هذا القرار المزيد من الجدل واللغط في أوساط المثقفين أيامها، وكان تجميع كل المناصب في أيدي قلة من أهل الثقة هو الملاحظة المطروحة على بساط الغضب الشعبي وكأن البلد معدومة المواهب وما بقاش فيها إلا سيادتهم! لكن أخوك اليويو شافها من زاوية تانية خالص قال لك – أنا قلت له أكيد ده شلوت لفوق! – كل دا طبعًا والكستبان بيعبي والعربية بتفرغ! واستأنف اليويو حديثه القائل: أنا جبتها له على بلاطة.. قلت له عبد الناصر عايز يتخلص منك لأنك من وجهة نظره تضخمت وأصبحت تشكل خطورة عليه هو شخصيًا. وفجأة انحرف الحديث باتجاه منطقة رمال متحركة أشد خطورة من المنطقة السابقة. انطفأ سيجار اليويو الفاخر فمد إيده يجيب نار طلعت في إيده ولاعة عجيبة الشأن والمنظر وكعادة اليويو كل ما تعجبه حاجة في إيد غيره يرسم عليها وفي النهاية يستولي عليها من باب – الكادوه – ولكنه هذه المرة اصطدمك بمقاومة صلبة من عطعط بيه النبيل اللي قال له – سوري مستر يويو دي هدية مراتي ما أقدرش أفرط فيها خصوصًا وإن الولاعة دي لها قصة أغرب من الخيال، لأنها في الأصل كانت مهداة من أحد أمراء النفط العربي التقدمي للمشير عبد الحكيم عامر الذي أهداها بدوره إلى الرئيس جمال عبد الناصر وبعد ما جرى اللي جرى في خمسة يونيو ١٩٦٧ وتوابعه اللي بلغت ذروتها بانتحار المشير عبد الحكيم عامر في ظروف غامضة وأثناء زيارة الأستاذ هيكل للرئيس في مكتبه لمح الولاعة العجيبة وأبدى إعجابه الشديد بيها فقال له خدها لأنها بتفكرني بيه! فخدها لأنها بتفكره بيه واستقرت الولاعة على مكتب الأستاذ هيكل إلى أن لمحتها مدام عطعط على المكتب فلم تتمالك نفسها من الإعجاب فقال لها الأستاذ هيكل – خديها لأنها بتفكرني بيه! – فخدتها لأنها بتفكره بيه لتستقر الولاعة من جديد على مكتب مدام عطعط فيراها عطعط بيه نفسه فيعجب بيها فتقول له – خدها لأنها بتفكرني بيه! – فياخدها لأنها بتكفرها بيه وهكذا دواليك.. القصد بعد ما تأكد اليويو من استحالة حصوله على الولاعة حب يداري كسوفه فغير مجرى الحديث ودا كان مقتله، قال لك يا سيدي وبمنتهى التهكم – بقى عبد الناصر كره الولاعة لأنها بتفكره بيه؟ طب ما هو اللي قاتله – كل دا والكوستبان بيعبي والعربية بتفرغ ودي كانت نهاية فرقة عكاشة المسرحية زي ما ح نعرف في الحلقات الجاية؟

من دقنه وافتل له

شايف ابن الحرام اللي بدع المثل الغلس ده؟ أهو ده اللي اشترى دماغه وجاب من الآخر. من دقنه وافتل له يعني خذ الزبون على قد عقله. اللي هيه حرفها المرحوم فريد الأطرش فبقت « إن حبتني أحبك أكتر » وعلى رأي محمود عويجة الترجمان قال لك من دقنه وافتل له يعني خد الخواجة على حجرك! أو (زي مالقّك لقّه) والحسن خي الحسين أو ما تيجي نجيب من الآخر قال لك « مبروم على مبروم ما يلفش ». البُقين دول أنا ندرتهم لوجه الله تعالى تعقيبًا على الحكم المسخرة اللي صدر عن محكمة إسرائيلية « غير متوقرة طبعًا » لأن منطوق الحكم يبيح لزبانية جهنم في سجون ومعتقلات العدو الصهيوني استخدام العنف اللي ممكن يصل لدرجة التعذيب يقصد انتزاع اعترافات من المتهم على شرط أن يكون فلسطينيًا!

وأنا هنا مش هاناقش الدور المشبوه للإعلام الغربي بقيادة المايسترو الأمريكي الصهيوني ومحأولاّته الدؤوبة لرسم صورة وردية للمحروسة إسرائيل باعتبارها منارة الديمقراطية وللحريات في المنطقة المنكوبة اللي هيه من دون مؤاخذة منطقتنا العربية المتحدة في السعادة و « الرخاء ».

أنا حاستخير واختار الحكيم الشعبي تبعنا اللي قال « من دقنه وافتل له » فإذا كان القاضي اليهودي قد برر حكمه العجيب ده بأن المسائل بتمس أمن إسرائيل وأمام أمن إسرائيل يهون أي شيء وكل شيء. وبناء على ما تقدم ذكره يبقى من حق الزبانية بتوعنا إن الجاسوس اللي يمسكوه يطحنوه ويطحنوا ويعجنوا عضمه في لحمه كفتاوى خصوصًا إذا كان الجاسوس ده إسرائيل لأنه هو ده الخطر الحقيقي على أمن مصر والمصريين وأقربها الواد الجاسوس اللي اسمه عزام عزام اللي اصطدناه بالأمس في عز النهار متلبس بالتجسس.

ومجند شوية زبالة مكتوب في شهادات ميلادهم مع الأسف الشديد « الجنسية مصري ».

صدقني يا نيتنياهو يا بن جولدا لو مشينا في السكة دي انتوا للي هتتعبوا مش احنا ولو تصورت ولو للحظة واحدة إن زبانية جهنمكو أشد هولاً وبطشًا من الزبانية بتوعنا تبقى رومانسي.

يا بني دال اليونسكو ذات نفسه عمل مسابقة عالمية عن أبو إيدين تقيلة حاجة كده على وزن أبو عيون جريئة.. تعرف انت الشاويش مناع؟ طبعًا ما تعرفوش.. لكن مسيرك هتعرفه بإذن واحد أحد.. أهو الشاويش مناع ده كلوة إيده تُخن رقبتك ولو نزل بيها على قفاك هيسلمك دوغري لعالم الدغبوبة.

وسبحان بقى مين يرجعك.. تعرف بقى الشاويش مناع ده طلع الكام في المسابقة؟ طلع ترتيبه العاشر.. بس الغريبة بقى إن التسعة اللي سبقوه كانوا كلهم مصريين برضه.. إيه رأيك يا نتن؟.

انت مين في دول يا خفاجه؟

فجأة ومن دون مناسبة قرر التليفزيون المصري في سهرة الخميس الماضي إذاعة شريط المسرحية « سيدتي الجميدة » بطولة الفنانة الرائعة « شويكار » والفنان الكبير « فؤاد المهندس » وانتاج سمير خفاجة.

وسيدتي الجميلة كما هو معروف هي ترجمة للنص العالمي « بيجماليون » اللي ترجم إلى عدة لغات أخرى غير اللغة المصرية.

وما اعرفش بقى ليه تم إعادة عرض « سيدتي الجميلة » مع بدء عرض مسرحية « كعب عالي » المأخوذة عن بيجماليون برضه بطولة الفنانة يسرا والفنان حسين فهمي وإنتاج سمير خفاجة برضه!!

هل ده نوع من الدعاية باعتبار الشيء بالشيء يذكر؟ ولاّ دا من باب المضاربة؟ وفي رأيي أن كلا الاحتمالين جايز.

عمومًا أيًا كان السبب فإن إذاعة « سيدتي الجميلة » في هذا التوقيت سحبت أذهان الناس إلى المقارنة وطبعًا المقارنة انحصرت بين الأبطال الأربعة شويكار ويسرا وفؤاد المهندس وحسين فهمي.. والمقارنة مش ممكن تكون إلا بمشاهدة العرضين وهي دي المشكلة لأن المسرح الخفاجي لا يستقبل عامة المصريين – وأنا واحد منهم – لأن تمن التذكرة والعياذ بالله خارج نطاق القدرة المحدودة لعامة الشعب المصري ولو خدناها بالويم حنقع في حيص بيص ودوخيني يا لمونة.. حتقول لي يسرا فنانة موهوبة وناجحة في السينما.. حقول لك على عيني ورأسي لكن شويكار فنانة مسرح لا يمكن تقليدها أو تكرارها ح تقول لي حسين فهمي فنان سينما وله تجارب مسرحية ناجحة.. ح أقول لك ما اختلفناش لكن فؤاد المهندس فنان مسرح مالوش حل ولا قد.

طب ليه يا عم سمير ياخفاجة تعمل فينا كده؟ ضاقت في وشك ومالقيتش غير بيجماليون عشان تعيد عرضها باسم تاني وأبطال تانين؟ ما فيش في مصر كتاب مسرح؟ وحتى ولو كان ده رأيك طيب ما هي المكتبة العربية مزحومة بالنصوص المسرحية الجميلة لفنانين كبار قوي من أمثال نعمان عاشور ونجيب سرور ومحمود دياب وميخائيل رومان وألفريد فرج ويوسف إدريس وسعد الله ونوس وعز الدين المدني وسعد الدين وهبة.. إلخ إلخ إيه الحكمة الخفية في إعادة هذا النص اللي اتهرى بكل اللغات؟

بعض الناس بيقولوا إنك المتهم الأول بتخريب المسرح المصري وتفريغه من مضمونة ورسالته وتحويله إلى سبوبة تجلب المصاري واللي معاه قرش ابنه يزمر.

وبعض الناس بيقولوا إنك منتج « حلو » لأنك بتصرف على عروضك المسرحية بالهبل!!

انت مين في دول يا خفاجة؟.

قصيدة جديدة

تخاريف خريف
الصدق مانجة
والكدب سنجه
تقطع. ما توصل
تغرق
ما تنجي
ماتنجا أفندي
كان عبده عندي
ضارب كاساتا
بالتمر هندي
قام هندي
قال له
لازم ياللو
مادام حبيبك
تروح
تقول له
بطّل معانده
وافصل دا عن دا
قال لك
لا يمكن
عشان دا من دا
دا مندا مين؟
قالّك أمين
دا مندا صاحبي
ومن سنين
سنين طويلة
فاتت لا حيلة
بس الأكاده
كانت جميلة
جميلة راحت
والزبدة ساحت
ميت ألف باني

ولا شخص فاحت
فاحت روايح
سمن الصفايح
فـ يالي ماشي
قول للي رايح
رايح زمانك
وهيلمانك
وبكره يا ابني
يكتر سيبانك
سي بان
مابانشي
قال لك دافنشي
موناليزا ساكته
ماتتضمنشي
دي خدودها
زاهية
وعيونها
ساهية
ممكن في لحظة
ترميك في داهية
داهية وشماتة
ستة في تلاتة
مقاس حريمي
من عند باتا
باتا الباتوتي
صاحبك يا توتي
لو بات جمالك
ممكن تموتي
أصل الزمان دا
مالوش كوماندا
وزيح دا عن دا
يرتاح دا من دا
دا مندا مين؟.. إلخ
ولو تحب نجيب م الأول تاني؟ ما يضرش.

نهاره أبيض

فضيلة المفتي الجديد عايز يقلبها ضلمه.. قال يعني هي ناقصة « نسوان » إيه يا عم الشيخ اللي انت عايز تقعدهم في البيوت؟ إذا كان الراجل يا ولداه بيطفح الكوتة طول النهار هو من ناحية ومراته من ناحية وبرضه مش ملاحقين على طلبات البيوت والعيال! جاي تقول لي المرأة مكانها البيت؟

بيت إيه يا مولانا انت مش عايش معانا ولا إيه؟!

وبعدين انت جاي داخل شمال ليه؟ ماتسيبنا في حالنا، لو معاك كلمة حلوة قولها، ما معكش، خليك في نفسك، وإذا كان حتمًا ومن كل بد من الشدة بتاعة الغربال الجديد شوفلك موضوع غيرنا، إفتي زي ما انت عايز، إنما احنا بقى سقت عليك النبي تطلعنا من دماغك.. المشرحة أصلها من ناقصة قتلا، وإذا كنت بترسم في عقل بالك إنك تحكم مصر المحروسة، يبقى دماغك راح لبعيد.. وبصراحة بقى الناس كلها كانت منتظرة من فضيلتك « بُقّين » صغيرين في موضوع القدس الشريف والمسجد الأقصى (ولا ده مش تبعك؟) تقوم انت يا راجل يا طيب تكلمنا في النسوان وموضوع الزنا، زنا إيه بس وبطاطس إيه؟ حد فيه نفس يكح؟ إحنا الفاتحة للنبي إيدك مننا والأرض.. يعني فضيلتك تتطمن خالص من ناحية موضوع الزنا وتشوف لك موضوع غيره تفتي فيه.

وبعدين يا مولانا انت بتقرأ الجرايد؟ ما قريتش عن الغلابة اللي يندفنوا في عز شبابهم أحياء تحت أنقاض العمارات الوهمية اللي بيبنيها المقاولين اللصوص بالتواطؤ مع الحكومة؟ ما يتفتيش في الموضوع ده ليه يا مولانا؟ مش العمارات دي برضه والله أعلم داخلة تحت بند الغش؟ ومش فيه حديث شريف صحيح عن مولانا رسول الله ﷺ بيقول « **من غشنا فليس منا** »، مش برضه موضوع يستاهل بقك؟ صباح الخير يا مشيخة.. صباح الخير بالليل وما تبقاش تستعجل كده الكلام وأهو كل سنة وفضيلتك طيب، رمضان على الأبواب، فضيلتك اللي هتشوف لنا الهلال هتحدد لنا نصوم إمتى ونفطر إمتى ونتسحر إمتى. وهتطلع فضيلتك في التلفاز والجرايد الحكومية والمعارضة وهتبقى (أشيتك) معدن، وإذا كان فيه مشاكل بين دار الإفتا والأزهر الشريف تقدروا يا سيدي تحلوها مع بعض وتبعدوا عننا إحنا.. ما لكوش دعوة بالنسوان، نشغلهم نقعدهم في البيوتم، تولع فيهم بجاز.. كل واحد يابا متعلق من عرقوبه، وعلى رأي المثل: صباح الخير يا جاري انت في حالك وأنا في حالي، إنما فضيلتك تسيب الجمل بما حمل وتركز علينا إحنا؟ هتفتي حلوه كده.

خليك حنين شوية وبلاش الدخلة المرعبة دي لأن إحنا أصلاً مبقاش فينا شيء يترعب.. وطبعًا لا يخفي على علم فضيلتك الغزير إن حكمة المولى العزيز اقتضت إن جميع الرسل والأنبياء الكرام بيعثوا إلى أقوامهم فيما عدا الرسول الوحيد اللي بعث إلى مصر المحروسة سيدنا موسى عليه السلام بُعث إلى فرعون وملئه، يعني الحكومة يا عمي الشيخ.. فاهمني انت.. نهاره أبيض.

يا ريت العين كان فيها دموع

لما استحكم الساري عسكر في بر مصر اختلط الحابل بالنابل وتاهت عيشة في سوق الغزل. وفتحت زنازين السجون والمعتقلات في مصر المحروسة فوهاتها الرهيبة عشان تبلع الآلاف من أنبل وأنجب وأجمل أبناء هذا الشعب الطيب الودود.

وكان من حسن حظي إن العسس جاهم عمي ألوان فكرموني وشرفوني وحشروني في زمرة هؤلاء المناضلين بتهمة تأليف الشعر.

وفي جوف زنازين السجون والمعتقلات المصرية تشرفت بالتعريف على عدة نوعيات من هؤلاء السجناء الطيبين.

نوعيات أفرزتها عمليات التعذيب والتنكيل الوحشية اللي حولت بطون الزنازين إلى مسابك جهنمية تنصهر فيها المعادن وتتحدد هويتها.. الدهب دهب والنحاس نحاس والقشرة قشرة والفالصو فالصو.. وطبيعي كان الدهب نادر لكنه كان موجود. وكان السيد المستشار مصطفى عبد العزيز النحاس من الدهب الخالص عيار أربعة وعشرين قيراط.

في الوقت اللي كان تلاميذ تلاميذه في مواقع السلطة بيلفقوا التهم للأبرياء وبيصدروا قرارات الاعتقال على أشرف المثقفين المصريين كان هو نايم ع البرش معانا وحاطط الأروانة تحت راسه بدل مخدة وبياكل معانا الجراية والسوس المفول وف إيده الكتاب وعلى وجهه النحاسي الجميل ابتسامة الرضا عن النفس وبين ضلوعه قلب أخضر يساع كل زملاء المحنة ولا عجب – إذا كان احتوى مصر كلها بماضيها وحاضرها ومستقبلها اللي كان راسمه ومخططه في عقل باله على هيئة جنة الرضوان – لا جوع ولا جهل ولا مرض ولا ظلم ولا غل ولا استغلال.

لكن يا خسارة مات مصطفى عبد العزيز النحاس قبل ما يتحقق حلمه الحلال نزل على الخبر زي المرزبة لدرجة إني رفضت تصديقه وكأن مصطفى أكبر من الموت – لغاية ما تصل بي إبراهيم منصور صديقنا المشترك وزميلنا في الهم والحلم والعشق ولرغبة وكان أوجع ما في المكالمة هو صوت إبراهيم منصور الباكي.. إبراهيم منصور الذي لا يكف عن الضحك طول ما هو صاحي.. سمعت صوته بيبكي وهو بينعي مصطفى عبد العزيز!

يا ميت خسارة يا مصر.. صحيح الموت علينا حق اللهم لا اعتراض. لكن يعني هي الحكاية كانت ناقصة يا عم مصطفى؟ ما انت شايل معانا ومعبعب وشايف وحساس وموجوع.. صدقني يا مصطفى التوقيت ما كانش مظبوط لأن اللي زيك نادر ونافع وزمان قالوا لنا في الأمثال – العين ماتبكيش إلا ع النافع – لكن – يا ريت العين كان فيها دموع – مع ألف سلامة يا مصطفى.

خصخصتنا.. ولا خصخصتهم؟

إيه رأيكو بقى إن أنا لغاية دلوقتي مش قادر أفهم.. يعني إيه خصخصة؟ وهيخصخصونا إزاي يعني؟ وليه إحنا عدم المؤاخذة كعرب شطار جداً في اختراع الأسماء؟ وعندنا تخمة في المسألة دي بالذات! فاكرين السادات لما حب يرفع أسعار السلع الأساسية والقوت الضروري للناس وراح مسمي العملة دي (تحريك الأسعار)! ولكن برضه ماخالتش علينا ورحنا منتفضين في ١٨ و ١٩ يناير ٧٧.. فاكرين لما انتفضنا! فاكرين لما السادات سمى الانتفاضة دي بالذات (انتفاضة حرامية)!

يعني المثل الشعبي بيقول (يا واخد قوتي يا نواي على موتي) ودول ياخويا ياكلوا أكلنا وأول ما نقول جعانين يقولوا علينا حرامية، ويحبسونا ويتوعدنا الرئيس السادات بإنه هيطاردنا لأقصىالأرض ويقول بالفم المليان من خلال تليفزيون دولة مصر اللي هو رئيسها (اقتلوهم حيث ثقفتموهم) وفي نفس الخطاب يتهمنا إحنا بالخروج عن الإجماع الشعبي ويهدد أي واحد يهدد الوحدة الوطنية بالويل والثبور وعظائم الأمور!! طب بذمة النبي فيه مورستان أكتر من اللي احنا عايشين فيه ده؟

لكن ما احنا برضه مالناش حل، وزي ما بيقولوا في الأمثال ربنا بيسلط أبدًان على أبدًان.. هوه احنا محوق فينا ظلم ولا جوع ولا نيله؟ أدي احنا دوبنا السادات زي ما دوبنا آلاف الحكام اللي عالى شاكلته، ولسانا قاعدين نقوق ونقول جعانين ومظلومين ولله يا محسنين وطالع تلاتة، وعمالين بس نعد في الملايين اللي بتتسرق يومياً ومش عاجبنا العجب ولا الصيام في رجب.. لكن برضه أنا لسه مش فاهم يعني إيه خصخصة؟

تكونش دي هيه الانفتاح؟ والله جايز.. لكن إيه اللي خلاه يتطور بالسرعة الجنونية دي؟ المعروف عننا إننا شعب سلبه طويل وواخد راحته بالقوى ومكبر دماغه ومش مستعجل على أيُّها حاجة والحياة ماشية عندنا (تاتاتاتا) اشمعنى يعني فرع الشقاوة عندنا هو اللي مستعجل وبيتطور بسرعة الصاروخ، يكونوش بيطبقوا نظرية جحا لما قالوا له الحق يا جحا بيت أبوك بيقع فقال له أما الحق أخذ لي طوبة؟ والله برضه ممكن، والمثل بيقول (ما تستكترش الرفس على البغل النجس).

عموماً سواء طلعت الخصخصة هي الانفتاح أو طلع الانفتاح هو الخصخصة فأنا ماعنديش أيها مانع. أنا بس باسأل، إيه حكمة ربنا يا مؤمن في إن نظام الخصخصة يطلع عند الخواجات فورج وروكفلر وسارتر وبيكاسو وشكسبير ويطلع عندنا إحنا بالذات السعد والريان والهدى مصر وعبد الكافي والحباك؟ ويا ترى يا هتلري في هذه الحالة يبقى مين أحسن في الاتنين خصخصتنا ولا خصخصتهم.

أبو الزلازل

أكتوبر أو تشرين على رأي أهلنا في الشام شهر من الشهور الساخة في التاريخ.. فمثلاً في عام ١٩١٧ انفجرت الثورة البلشفية العظمى في روسيا واستولى البلشفيك على السلطة ويغروا خريطة العالم السياسية وصنعوا دولة أسهمت بشكل رئيسي في صنع الأحداث على كوكب الأرض وأصبحت بين عشية وضحاها إحدى القوتين العظميين قبل ما تتهد (عقبال التانية) وكانت عاملاً مساعداً وفعالاً في دعم وانتصارات حركة التحرر الوطني على قوى الاستعمار القديم.. واحنا هنا في مصر على رأي المثل نابنا من الحب جانب واستطعنا بمساعدة تلك الدولة أن نحقق عدة إنجازات ضخمة كان أهمها بناء وتسليح قواتنا المسلحة وبناء السد العالي وإنشاء العديد من المصانع وعلى رأسها مدينة الحديد والصلب.. وكان هذا في حد ذاته زلزالا في حياتنا المعاصرة غير الكثير من الملامح والتضاريس على أرض مصر المحروسة، وفي أكتوبر ٧٣ جاء الزلزال الأعظم وصنعت قواتنا المسلحة الباسلة واحدة من أعظم ملاحم التاريخ المعاصر وحولت عار الهزيمة المهينة في يونيو ٦٧ إلى نصر مبين رد للعرب اعتبارهم وفرض احترامهم على عالم لا يحترم إلا الأقوياء بغض النظر عن النتائج السياسية السلبية التي أفرغت نصر أكتوبر ٧٣ العظيم من مضمونه وحولته إلى سبوبة.

وكان المفروض أن الأخ أكتوبر يفرمل هنا بعد ما عمل اللي عليه لكن تقول لمين بقى؟

سنة ١٩٩٢ كان الزميل أكتوبر مخبي لمصر المحروسة مفاجأة غير سارة على الإطلاق اللي هيه الزلزال الشهير اللي اتحول برضه وبقدرة قادر إلى سبوبة لدرجة سرقة البطاطين اللي جاية على هيئة معونة دولية لمنكوبي الزلازل والكوارث الطبيعية اللي كنت أن واحد منهم ولا فخر، وأحمد ربى وأكشر فضله إن الزلزال تبع ٩٢ حصل.. لأن بيتي اللي كان في حوش آدم كان بيستعد فعلاً للسقوط من غير زلزال ولا دياولو ولو كان ده لاقدر الله حصل كان زماني في الشارع من سنتها لكن ربك الحنين سترها ويمكن عمل الزلزال ده عشان يدوني شقة بالمقطم وبقيت صاحب شقة أوضة وصالة وعفشة ميه وده في حد ذاته ختام عادل ومناسب لحياة كلها صياعة وحرمان وفقر دكر، قول بوست إيدي وش وضهر وحمدت ربنا على كل اللي يجيبه يقوم بيي السيد أكتوبر السنة دي وشايلي معاه زلزال جديد (وكأن المشرحة ناقصة قتلة!) طب أي عم أكتوبر انت سنة ٩٢ رحلتني من حوش آدم للمقطم بهزة بسيطة من دماغك راجع تاني تهز دماغك ليه؟ عاير إيه بالضبط؟.. أنا دلوقتي ومعايا حوالي ربع مليون مواطن مصري ساكنين في مساكن الزلزال بالمقطم.. طيب لو وقعت المساكن دي تقدر سيادتك تقولي ح نروح فين؟

اعقل يا أكتوبر يا خويا واللا انت يعني غاوي منظرة وعايز الناس في مصر يسموك (أبو الزلازل!).

افتنا يا مولانا الجليل

مقدم البرنامج التليفزيوني الألعبان إياه ضرب شقلباظ في الهوا وراح نشن ونازل عدل على مزبلة التاريخ المصري الحديث وساحب منها مومياء لصاحب دولة قديم تولى حكم مصر في عصر الدولة الساداتية.. ولبس في خلقته بالسؤال التالي:-

تفتكر سيادتك يا افندم تصرفات إسرائيل التوسعية اللي ضربت عرض الحائط بكل قرارات الشرعية الدولية ممكن تؤدي للحرب في المنطقة؟

وفوجئ المشاهدون بمومياء المزبلة وهي تنتفض من الفزع صارخة: حرب لأ، حرب لأ..،حرب لأ، - ٣ مرات حرب لأ - ثم عادت الجثة إلى حالتها المتحفية بلا حراك وعاد الألعبان لأسئلة الاستفزازية:

- طب يا افندم والناس اللي إسرائيل بتطردهم من بيوتهم وتستولى عليها في إطار خطة التهويد لـ..

وسارعت المومياء تقول بارتياح وكأنها وجدت الحل:

- دول يا سيدي نبقى نلم لهم شوية فلوس ونديها لهم يشتروا بيها بيوت جديدة، وكده نبقى حلينا المشكلة بدون ما نجيب سيرة الحرب لأن إحنا والحمد لله دعاة سلام مش دعاة حرب!

وبعد كده تقريباً بـ ٢٤ ساعة ظهر اليويو على الشاشة البيضاء وما أدراك ما اليويو؟. المحاور المناور الفصيح طالع يدافع بمنتهى الثقة و « العين الجامدة » عن الكوبنهاجين العرب اللي كلفوا خاطرهم وقطعوا التذاكر يا ولداه من جيوبهم من هنا لحد كوبنهاجن عشان يخترقوا المعارضة الإسرائيلية فتروح المعارضة الإسرائيلية مسقطة الحكومة الإسرائيلية في الانتخابات اللي جاية بعد الجاية ومين يعلم مش يمكن يجبوا الفتى أبو عمار رئيس لعموم دولة إسرائيل وبكده نبقى حلينا المشكلة بدون ما نجيب سيرة الحرب لإن إحنا والحمد لله دعاة سلام مش دعاة حرب «!».

طب بذمة النبي مش دي حاجة على رأي المثل الشعبي « تطلع الـ... م القبة » زمان أول ما سرقوا فلسطين سلطوا على رقاب العباد سيف بتار مغلف بعبارة « معاداة السامية » وما تعدش بقى اللي قتلوهم بحد هذا السيف واللي خطفوا أطفالهم واللي شهروا بيهم ولوثوا سمعتهم وخلوا فضايحهم بجلاجل.. وبعدما هضموا اللي قضموه من سنة ٤٨ لسنة ٧٦ سنوا لنا سيف جديد مغلف بعبارة « معادي للسلام يا سلام ».

وكان بعض الناس الطيبين متصورين إن تهويد القدس الشريف وقرار أمريكا بنقل سفارتها، تل أبيب إلى قلب مدينة القدس باعتبارها العاصمة الأبدية لدولة إسرائيل هو الحلقة الأخيرة في مسلسل الهضم والقضم الصيوني وبعد كده يبجي السلام بدون ما نجيب سيرة الحرب لأن احنا والحمد لله دعاة سلام مش دعاة حرب يقوم يطلع لنا هادم اللذات ومفرق الجماعات في هيئة صهيوني متعصب يرسم رسولنا العظيم على هيئة خنزير يدوس بأقدامه الأمامية على القرآن الكريم كتاب الله المنزل هدى ورحمة للعالمين.

وأنا لأني يئست من الساسة والسياسة أتوجه الآن بالسؤال البريء إلى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر وإلى فضيلة مفتى الديار المصرية الموقر وسائر علماء المسلمين في شتى أنحاء البلاد الإسلامية.. هل هذه دعوة للحرب أم للسلام؟ افتنا يا مولانا الجليل أفادنا وأفادكم الله.

زي الحلم البعيد العنيد وأنا زي ما بيقولوا الإخوة النحاة (أراه ولا أراه) في سائر عموم الحبوس والمعتقلات والتخاشيب وحجوزات أقسام الشرطة رأى شيء من هذا القبيل أنشأته حكومتنا المضيافة عشان يكون (في خدمة الشعب) قابلت حمدين صباحي لكن ما شفتهوش.

كان وأحداً من أبطال حواديت الزنازين على لسان الرفاق بمن فيهم خصومه السياسيين وكانت سيرته دائمًا بتقترن يا إما بالإعجاب من الأصدقاء يا إما بالاحترام من الخصوم، ويمكن ده هو اللي شوقني أشوفه.. ورغم تعدد مرات اعتقالنا معًا فإننا أبدًا لم نجتمع تحت سقف سجن واحد من سجون الرئيس الديمقراطي محمد الأنور حتى أصابني تجاه حمدين صباحي ما قاله عمنا بشارين برد (والأذن تعشق قبل العين أحيانًا) وعلى مدى ١٠ سنين سجون وأنا عامل زي المرحومة وداد حمدي في أفلام زمان ماسك وردة الحب الصافي وهات يا تنتيف في ريشها ويا ترى يا هلترى حاشوفه.. حاشوفه مش حاشوفه.

ولف الزمان لفتة المحتومة وراحت حكومة وجت حكومة بعدها زالت دولة ديمقراطية الرئيس السادات ذات الأنياب والمخالب والزنازين والاتهام بالخيانة العظمى وانفراط العقد العقيق والتدحرجت كل حبابة في إتجاه.. ومن شهر فقط كنت في المسرح القومي لحضور العرض المسرحي الجميل (طقوس الإشارات والتحولات) الذي قدمته فرقة الفنانة العربية الكبيرة نضال الأشقر في شكل احتفالية تليق فعلاً بوداع الصديق الجميل سعد الله ونوس الذي رحل عنا في توقيت غير مناسب! وبمجرد إطفاء أنوار الصالة إيذانا ببدء العرض فوجئت بشبح لم أتبين ملامحه يقف أمامي هامساً:

- منور يا عم أحمد.. إزاي صحتك؟ ربنا يخليك لنا.. أنا حمدين صباحي.

وأخذتني المفاجأة فقلت على الفور:

- أنا بحبك يا واد.. باحبك قوي.. أزيك يا واد يا حمدين.. أنا عايز أشوفك بشدة.

ثم أبحرنا جميعًا في تحولات سعد الله وإشاراته الفاتنة حتى شرقنا بالدموع. ويبدو أننا نسينا أنفسنا فلم نلتق بعد العرض. وفي الأسبوع الماضي صدر عدد جريدة « الدستور » يحمل أكثر من كلمة احتجاج على اعتقال حمدين صابحي من قبل مباحث أمن الدولة!. تاني؟ ماذا جرى يا هلترى؟ هل انتهت صلاحية اتفاقية فض الاشتباك التي أبرمها الرئيس مبارك مع المثقفين الوطنين في أول عهده بالسلطة؟ طب ما نجددها.. ولا يمكن أجهزة الأمن شايفه غير كده؟.. أنا عن نفسي شايف والعت على النظر طبعًا إن النظام الحاكم في مصر بيتعايق بشدة أمام العالم بالهامش الديمقراطي الذي يسود المناخ السياسي في مصر المحروسة.. وده طبعًا من حقه.. أيوه من حق الرئيس مبارك وحكمه إنهم يقولوا وبالصوت العالي إحنا اللي غيرنا مناخ العمل السياسي في مصر المحروسة من القمع وسيادة الرأي الواحد إلى الحوار ومقارعة الرأي بالرأي.. وإلى هنا وشكرًا للرئيس مبارك وحكمه.

لكن يا حلوين الكورة دلوقتي أصحبت في ملعبنا إحنا وعلينا اننا نتحرك جميعًا ونضغط جميعًا بكل الوسائل المتاحة للإفراج عن حمدين صباحي وباقي الفلاحين المعتقلين أو حتى مواجهتهم بقرار اتهام صريح ومعلن يحدد جرائمهم مادام الدفاع عن الأرض مصدر الزرق أصبح جريمة في هذا الزمن المقلو.

أنا والخواجة ميتران!

الود ودي إني أغمس الريشة بمية الورد واكتب لك يا عزيزي القارئ يا خويا أحلى الكلام على ورق بمبين بمبي لكن أعمل إيه؟ على رأي عمنا المتنبي.

تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن.

مثلاً كان تغيير رئيس الوزارة بشرة خير أو الغرزة الأولى اللي حيكر بعدها الخيط لآخر الشلة وتوتة توتة فرغت الحدوتة وتطلع الشمس من جديد على مصر المحروسة وتتروق وتتروق وتبقى أحلى عروسة.

وكانت المسألة محتاجة قصيدة فرح ويا عشاق النبي صلو على جماله يقوم ييجي الخواجة ميتران ويروح خالع من دون مناسبة ويسرق الكاميرا من هنا يوديها على باريس زي ما سبق وأجداده سرقوا المسلة المصرية وزرعوها في ميدان الكونكورد عشان يتباهوا بيها زي الأقرع اللي بيتباهى بشعر بنت أخته.

أنا الخواجه ميتران ما يقربليش لا من بيعد ولا من قريب ولا أنا زعلان على موته ولا أنا فرحان فيه.. ولو كانش أتخلق من أصله ماكانتش حتفرق معايا.. يعني مش النظرية.

النظرية إنهم انتهزوها فرصة عشان يستمروا في ممارسة النكد علينا وتسويد عيشتنا وتذاع الجنازة من باريس لزم.. أنا كمواطن على نياتي كنت قريت في صحافتنا القومية إن حوالي تلاتين رئيس دولة حيشتركوا في جنازة الفقيد، وفضلت مستني قدام الشاشة الصغيرة لغاية ما جت الجنازة أدور كل اللي شفته إن الكاميرا كان مركزة على اثنين الأخ أبو عمار والرئيس كاسترو وشية خواجات ما أنزل الله بهم من سلطان.

وبعد نهاية الجنازة وقف مذيع مصري قال بقين زفرين في الفقيد العزيز اللي مغرم صبابة في هوى مصر المحروسة.

المهم.. هما كانوا مركزين على الأخ أبو عمار واحنا عارفين ليه، لكن الغريب في الأمر كان تركيزهم على الرئيس الكوبي فيديل كاسترو؟

مش دي برضه محتاجة سؤال؟ والأ.. فيه إيه يا جدعان؟!.

فيه إيه يا جدعان!

أولاً: كل سنة وانت طيب وعبيط وأهبل.

دا يا سيدي بمناسبة النتيجة بتاع السنة الجديدة.. ولو إن بيني وبينك المسألة مش باين لها جديد من قديم طول ما الجراد الأصفر ده كابس على أنفاسنا ومش عايز يتزحزح « قيد أنملة ».

ثانياً: البقية في حياتك وعظم اله أجرك في ليلى مراد عصفورة الكناريا اللي ملت حياتنا نغم وزقزقة وعلمتنا أغزل كلام الغزل وشرحت لنا أجمل معاني الحب وأخيراً مشيت من سكات وسبابتنا فريسة لأسراب البوم والحدادي والغربان بتوع استفتاءات رأس السنة اللي ربنا يبقى يبتليهم بشوطة تاخد ما تخلى وبعدين تعال هنا بقى.. انت يا ابني مش حتكبر بقى وتحط عقلك في راسك زي بقية خلق الله وتشوف مصلحتك فين عشان ربنا يصلح حالك بدل ما انت كده شماتة وملطشة لأحط خلق الله وعامل خدك مداس للي يسوى واللي ما يسواش!

إيه يا واد اللي وداك عند صناديق الانتخابات؟

وانتخابات إيه يا اهبل يابن الأهبل اللي حيعملوها حيتان توظيف الأموال وتجار البودرة ولصوص البنوك والمتاحف والمعابد وبلطجية نسوان شارع الهرم وجواسيس المحروسة إسرائيل!

أديك يتمت عيال أخوك وحرقت زرع جارك وخربت دارك بايدك.. عشان تجيب نفس العصابة السرمدية تبع مجلس الأنس اللي فات.

لأ وماكفاهمش العدد المهول من ضحايا الانتخابات فراحوا مكملين الهم بضحايا حوادث « مرفق سكك حديد حكومة مصر » ولزقوا التهمة للشبورة.. وكأن القطورات دي ماشية ع الطريق الزراعي ولما لقيوا الكدبة مش مسبوكة راح صادر فرمان من الباب العالي بطرد مدير السكة الحديد على أساس إن هو اللي كان سايق القطورات اللي لبست في بعض!

نيجي بقى لعبارة الرياضة البدنية شفت اللي حصل للمصرين في السعودية!

أنا مايهمنيش الولس اللي حصل م الحكام العرب دول برضه عالم جعانة في بلادها والمواصلات مش ح تعطل لما كل واحد فيهم يعكم له عكمة يعدي بيها الفلنكات ويترسم في بلدهم مش احسن من اليهود ولا الأمريكان وعلى رأي المثل أن كان جارك في خير أفرح له.. إن ما جاك منه.. يكفيك شره.

برضه مايهمنيش هزيمة الأهلي أو الزمالك أو حتى المنتخب.. دى عالم جلدها تخين وواخدين ع الهزايم وماعندهمش أي بروبلم مدام بيأبجو ويضيعوا يرجعوا آخر شبرقة.

الدور والباقي يا ولداه على ولاد مصر المتغربين ورا لقمة العيش وشاربين المركاسات في كاسات وبيعانوا من غربة الدار ولؤم الجار.. خصوصاً لو الجار ده تافه وعديم المفهومية وما فيش في حياته أي شيء يفتخر بيه.. دول عالم يابا آخر انجازاتهم كانت غزوة بدر والجون اللي جابوه في بلجيكا ودفعوا تمنة مليون دولار.

شوف بقى لما يغلبوا بطل مصر « عقدتهم التاريخية » ويضيفوا المجد ده لصفحة انتصاراتهم على المصريين اللي كان آخر سطورها المجيدة الاعتداء التربوي من ناظر المدرسة السعودية اللي افتض بكارة الطفل المصري وجلد أبوه الطيب المصري على قارعة الطريق وانفضلوا حكامنا الميامين بلفت نظرنا لعبارة مهمة جداً وهي أن السعوديين اخواننا وما فيش داعي لتوسيع « الخرق »!

مين اللي بعت الكباتن دول عشان يعكننوا على المصريين برا وجوا! مش دا برضه سؤال فني؟

ولا فيه إيه يا جدعان.

أهلاً بالنتن

يا خويا الدنيا مالها ساح شرقها على غربها وجه عاليها واطيها واتبلبلت من بابها لمحرابها! وفيها ناس يا حبة عيني حاسين إن نهايتهم حانت وساعتهم بانت ودولتهم للزوال وعزهم على وشك الرحيل.. قال لك كانوا مراهنين على حمار وطلع بغل.. سبحان الله.. ما يطلع زي ما يطلع دي الأرزاق بيدي الله والأعمار بيدي الله ولا ياخد الروح إلا اللي خالقها ولا انتوا يعني شحنتوها قمح وجت ملح؟

قالك يا سيدي والكلام على لسان كبير حكام بني قحطان:

- ودا كان لي فين ومتخبي يا ناس؟ يا ريتهم كانوا خدوا من عيوني عين بس كان ينجح المحروس بيريز في الانتخابات الأفروإسرائيلية. الله يرحمه ويحسن إليه ويبشبش الطوبة اللي تحت رأسه.. كان جدع زين.. وكان قلبه كبير ومتساهل. وكان مكبر دماغه ودماغنا جنب دماغه.. وكانت المسائل حتبتدي تريح وتسأسأ وتروق وتِحْلا. وكل واحد مننا بدأ يدلع نفسه ويهرول في الطريق اللي يعجبه وكان بينا وبين الكعبة الجديدة أوتوستراد مفروش حرير في حرير ومرشوش بماء الورد أنشأهولنا خصيصاً طيب الذكر والفكر شمعون بيريز الراجل التمام.. بطل الحرب والسلام وقاهر الأطفال والأشجار على أرض لبنان العزيز وقائد معركة قانا المجيدة اللي خلع إذ فجأتن وسابنا ع الحديدة.

طب مين اللي جاي يا ولاد؟

قال لك والكلام مازال على لسان كبير حكام بني قحطان:

- آه يا خوفي م اللي جاي.. اللي جاي راجل شرز وقتم وما يعرفش أبوه وجاي من هناك على هنا عدل عشان ياخد بتار المجحوم أخوه اللي كان سبق وهلك على إيد واد فلسطيني انتحاري قراري لبسه واحدة – مليز – في خلقته عجنة في زعطلونه وجاكتته.. يعني أجارك الله عبارة عن زكية رزالة في هيئة بني آدم واللي سماه نتن ما خابشي ويقال والعهدة على الراوي إنهم لماكانوا بيدلعواه وهو صغير كانوا بيقولوا له – يا معفن – طب إحنا بقى نروح فين ونيجي منين مع صَخْصْ من هاذوها النوعية! واوعى دماغك يروح لبعيد وتتصور إن له كبير يترد عليه. إذا كان الراجل الكبير ذات نفسه اللي هو فاتح قصورنا ومأكلنا عيش وكافيار بيقولوا عليه – الولد المطيع – يبقى إحنا حيسمونا إيه؟ وحيعملوا فينا إيه؟
- توضيح بسيط إلى حكام بني قحطان.. اطمئنموا واثبتوا شوية ما تفضحوناش ربنا بحق جاه النبي يبتليكوا بفضيحة لا عالبال ولا ع الخاطر.

أولاً: اللي انتوا خايفين منه ده يبقى رئيس حزب الليكود اللي عمل اتفاقيات كامب ديفيد مع الرئيس السادات.

ثانياً: اللي انتوا بتبكوا عليه ده يبقى مهندس وقائد جريمة – عنقايد الغضب – في لبنان ولسه إديه مانشفتش من دم الأطفال والأشجار.

ثالثاً: مش حيعملوا فيكو حاجة لسببين.. السبب الأول: إن الكلب ما بيعضش في ودن أخوه. والسبب الثاني: إن اللي حيتعمل فيكو ده من صميم اختصاص الشعوب القحطانية وربنا يحيينا ونشوفه بعنينا.

وبعدين ماتبقوش تتعشموا قوي كده في شخص مصيره للزوال وعلى رأي المثل الساير.

قال له يا جحا خش الزريبة نقى لك كلب

قال له:

- كلهم كلاب ولاد كلاب

وأهلاً بالنتن.

وداعًا.. محمد فارح عيديد

وأخيرًا.. وفي نهاية الشوط ترجل الفارس النبيل عن جواده مرفوع الهامة موفور الكرامة بعد حياة حافلة بالبطولة والتضحيات علشان ينطبق عليه قول الشاعر:

فإما حياة تسر الصديق.

وإما ممات

يكيد العدا

والغريب في الأمر إن شائعة موت الجنرال محمد فارح عيديد ترددت مرات وكان مصدرها راديو لندن وصوت أمريكا وصوت الكيان الصهيوني من أورشليم القدس!

ويوم ١٩٩٦/٨/٣ سمعت الخبر من نفس المصادر دي ولاحظت الشماتة من طريقة صياغة الخبر ومن طريقة أداء المذيعين مع أنهم عرب! لكن أكل العيش مر زي ما بيقولوا واللي يستوظف عند أعداء وطنه وأمته يبقى باع نفسه واللي يبيع نفسه مش ممكن يشتري حد ولا حول ولا قوة إلا بالله.

أنا عن نفسي ما اعرفش الراجل ده بيمثل إيه بالضبط.. لكن أنا حددت هويته وتوجهاته من خلال إعلامنا المحترم.. كانوا قبل السادة الأمريكان ما يعترفوا بزعامته وحجمه في الحركة الوطنية الصومالية بقولوا عليه في تليفزيون وصحافة مصر الجنرال الهارب أو الفار فارح عيديد، وبعد الغزو الأمريكي للصومال الي تمخض عن علقة مخبرين كلوها الأمريكان على إيد شعب الصومال الجعان بدأوا يقولون عنه زعيم التجمع الوطني الصومالي!

وفجأة لقيت قلبي بيدق بشدة كل ما سمع امسه أو أقرأ خبرا عنه وفجأة دخل الراجل دائرة اهتماماتي الحميمة ولقيت نفسي باترقب أخبار انتصاراته علمًا بأني ما اعرفش هو بيحارب مين؟ وتحولت المسألة إلى انحياز لهذا القائد والانحياز نوع من المراهنة.. وأشهد أن الفارس الشجاع محمد فارح عيديد لم يخذلني حتى وهو بيموت لأنه مات في معركة وسط جنوده.. بينما غيره مستخبي في حراسة الأجهزة الالكترونية والدوائر التليفزيونية من شعب بيدعي إنه اختاره بنسبة ٩٩٩ و ٩٩ من ألف في المية في انتخابات حرة نزيهة! وإذا لم تستحِ فازعم ما شئت.

أيها الفارس النبيل والشهيد العظيم محمد فارح عيديد. اسمح لي أن أنحني لك وانت ترحل عن هذا العالم البليد الخصي لتنضم إلى رفاقك شهداء الحق والعدل في موكب جليل.. وحييجي الزمان ويروح وحتزول دول ويسقط حكام الـ ٩٩٩ و ٩٩ لكن اسمك وكفاحك حيبقى نموذج ومثل أعلى ودرس لكن المظلومين والغاضبين على هذا العالم الكذاب.

وداعًا.. محمد فارح عيديد.

قالك وروح يا زمان وتعالى يا زمان قامت راحت ناس وجت ناس، وزي ما تقول كده اختلط الحابل بالنابل وحصلت غوشرة تاريخية عملت شبورة جابت اليمين شمال والفوقاني تحتاني ولخبطت كله على كله!

يقوم يشاء السميع العليم إن « النفطجية اشتكوا » يتجمعوا بعد التشات ويتلم الشامي على المغربي وتتوحد كلمتهم لأول مرة في العصر البلاستيك ويمكن لآخر مرة برضه « بس قدم المشيئة » ويقرروا بمنتهى الحزم والحسم القضاء التام أو الموت الزؤام على الفن المصري اللي هو في الأصل « رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه » ومنتشر بصورة وبائية في كل خرم ولك شق على مساحة الوطن من المحيط للخليج ومن الخليج للمحيط.

الأول لاعبونا رسمي فقى كل يوم يدشنوا مطرب جديد أو ممثل جديد أو مخرج جديد لعل وعسى. يلمع لك النجم الفنطجي يومين ثلاثة وفجأة ينزل على جدور رقبته في بؤرة النسيان اللي مالهاش قرار.

واللي طينها ونيلها بستين نيلة الشعب العربي ابن ستين في سبعين الي متأبد لك يا خويا في الفن المصري وبيعشق العامية المصرية عشق قيس لليلى أو عنتر لعبلة أو حسن لنعمية أو جمال حمدان لمصر أو إبراهيم باشا لحروب فرنسا!!

فكان لا بد ومن كل بد كسر شوكة المصريين ولاد الكلب اللي مش محوق فيهم لافقر ولا جوع ولا عطش ولا انفتاح ولا دياولوا!.. وما دام المنافسة الشريفة واللعب الرسمي نتيجته محسومة مقدماً لصالح الفن المصري يبقى مفيش حل غير الخيانة والضرب تحت الحزام وأهي المصارى تبع النفط متلتلة في بنوك الصهاينة المنتشرة في كافة أرجاء المعمورة، سحبوا شوية فلوس واشتروا بيهم الهوا عن طريق الشيمؤيمئ والصيم صيم ضوا والطيم طيمئ والؤيم صيمغ وقالك كده يبقى سدينا عليهم باب النفس.. وفجأة يكتشفوا إن الأجهزة المعقدة دي علشان تشتغل يلزمها مصريين برضه قرر مشايخ القبائل اللجوء للأسلوب الأمريكي اليهودي اللي هو لم البضاعة من السوق وجمدها في الثلاجة أو حتى من النوع العشوائي.

واتصوروا إن الموضوع كده يبقى خلص أو إن المطربين الحقيقيين في مصر المحروسة هياخدوها جرى من بوابة المتولي لبوابات عواصم النفط والبلاستيك وهناك يركعوا طلبًا للمغفرة والريالات والدينارات والدراهم والدولارات وكل واحد هايحط سداده في بقة ويخرس إلى الأبد!

محصلش « أصل احنا يا ولاد مصر عيانين بالغُنا ».

قالك نخش من حتة تانية.. المسرح المصري، وهجمولك يا خويا بالدشاديش على مسارح شارع الهرم ورفعوا ثمن التذكرة للشيء الفلاني واضطر المواطن المصري الغلبان إنه يسيب لهم كرسيه في المسرح لحين ميسرة مافضلش إلا السينما والتليفزيون حلُّوا مشكلة التليفزيون بفرض أنفسهم على المسلسلات اللي بينتجوها، يعني إنك لازم ولا بد تاخد ممثلين من عندهم « بدل تخشينه » فبقوا يطعلوا على الشاشة أشبه بالدمامل والبقع الجلدية فِضْلت السينما قالك تشتروها! شوف جنون المال بيعمل إيه؟ والمصيبة إنه لقيوا في مصر ناس بيبيعوا كل شيء أي شيء.. حتى التاريخ!!

وفجأة تطلع الشمس من قلب النيل على هيئة سنيورة مصرية اسمها الحاجة « فاطنة » وشهرتها عبلة كامل.. شفتوها يا ولاد؟ عبلة بنت إيزيس وسانت تريز وفردوس محمد وماري منيب وفاطمة رشدي وسهير القلعاوي وهدى شعراوي وصفية زغلول وأم كلثوم وأفضل أعد من هنا لبكره والقائمة ماتنتهيش دول بنات النيل يا ولد اللي كانوا بيتزوقوا ويتروقوا ويزفوا نفسهم عرايس لأجمل عريس علشان يفيض على كل المصريين بل على كل الدنيا بالميه الزلال، الحب والحب والخير والجمال في الوقت الي كان بدو الدشاديش بيدفنوا بناتهم أحياء وينتهكوهم أموات! عايزين تدخلوا بنات النيل في الحريم بالجملة يا جهلة يا متخلفين؟!

ما عشتم ولا كنتم ويا بت يا عبلة يا بنت عم كامل أدينا كمان وكمان فن وحب وجمال وقولي للنفطجية بالصوت العالي: مين اللي يقدر يقتل فن مصر؟!.

يا أهلاً بـ.. التواريخ

التعبير الشعبي البليغ بيقول عن الإنسان اللي – ماشيه معاه حلاوه – فلان ده حظه في رجليه!

وأنا من يوم ما صدَرِتْ جريدة الدستور – مشيت معايا – بس مش لدرجة حلاوة.. هي بالفعل خرجتني من حالة مش عارف لها وصف!

أنا كنت أشبه بحصان جامح سبق له الجري في وسط مجموعة من الجياد الأصيلة وكان بعد كل سبق يجريه يوصل خط النهاية سعيد بمشواره وصحبته وجاهز للمشوار الجديد.. وفجأة وقفت المشاوير واتبعترت صحبة السبق وضاعت معالم المضمار واتحاصر الحصان الجامح بالحيرة والجموح وغياب الصحبة وتوهان الطريق.. وفجأة صدرت « الدستور » وكأنها بتنصب مضمار سبق جديد وكان لازم اتفرج واتفرجت.. وبسم الله ما شاء الله يا زين ما اتفرجت شباب زي قطف الورد صحة وحيوية وصحصحة في العقل... فكروني بالذي مضى.. وكأنك يا مصر يا محروسة ما بتتعبيش م الولادة! واللي خلى الفرحة فرحتين إن الجياد الأصلية العتاقي اللي انقطعت بيها المشاوير طلعت من البيات الشتوي ونزلت المضمار الجديد واندمجت في السبق وأنا كنت واحد منهم ويا أهلاً بالمشاوير.

العدد اللي فات من « الدستور » فاجأني بـ... تواريخ أسبوعية تهتم بأخبار وتواريخ الزمان – شعارها – من فات قديمه تاه ومن توقف عنده ضاع – جريدة داخل الجريدة بيحررها صلاح عيسى.

وصلاح عيسى فلاح مصري ما تعرفش اتحدف ع القاهرة من أنهي مصيبة عشان يكمل تعليمه في مصر أم الدنيا واستطاع بدأب الفلاح المصري ودهائه أن يحقق حلم أهله فيه وخد لهم الشهادة الكبيرة اللي هي – بكالوريوس خدمة اجتماعية! – وأنا لغاية وقتنا هذا ما أعرفش يعني إيه بكالويوس خدمة اجتماعية وبيتهيألي والعلم عند الله إن اللي بياخد الشهادة دي يا إما بيشتغل في التمريض يا إما بيروح الثقافة الجماهيرية تبع مكافحة دودة القطن ويمكن من حسن حظنا إن صلاح عيسى ما درسش تجارة وإلا كان زمانه "بيزنس مان" أو طب مثلاً وكان زمانه دكتور وكنا خسرنا كاتبًا ومؤرخًا ومناضلاً سياسيًا نادر المثال.. وانا اللي سعدني زماني وزاملت صلاح عيسى في سجون الرئيسين عبد الناصر والسادات وكانت مزاملته بالنسبة لي رحلة إنسانية وثقافية بالغة المتعة والجمال.

وعشان كده أنا باعتبر نفسي أشد الناس فرحًا وأسعد الناس حظًا بانضمام صلاح عيسى لمضمار السبق على صفحات الدستور ودلوقتي بس أقر واعترف بأنها – مشيت معايا حلاوة – وباقول لنفسي ولقراء « الدستور » – أيوه يا عم ماشيه معاكوا آخر حلاوة و – حظكوا في عنيكو – وجتنا نيلة في حظنا الهباب.

شهاب الجميل إفراج.. نهائي!

من يوم ما شنقوا زهران وليف الحمام وعاشق البحر والمواويل ومصر من يومها صبحت دنشواي، تشرب عكار النيل وتطرح العشاق والمواويل والحنة والأحلام أتاري مصر دي يا جدع واحدة فلاحة بنت كلب عنيدة وكل ما تتقهر تحبل وتتوحم في عشاق المحاسن وتغزل في انتظارهم الغناوي والزمن يقول الله.. كمان يا مصر كمان.

وكان شهاب الجميل من ضمن طرحة القهر، عود أخضراني ممدوح في صحبة النعناع والورد البلدي والقرنفل والتمر حنة واللي زهرت ونورت – إذ فجأتن – سنة ١٩٧٢ وعطرت أرضك وسماكي يا مصر بالكلمة العفية واللحن الصبي. ولما دخلوا عليهم عسكر السلطان حرم الجامعة وهما معتصمين بلا زاد ولا نوم ولا راحة بال لقيوهم مشبكين إديهم ودايبين.. الكل في واحد يحاولوا يكلموهم.. ما بيتكلموش.. يحاولوا يراضوهم ما بيتراضوش وأخيراً سألوهم..

- طب امسكوا إيه؟

ردوا في نفس واحد

- اسمنا مصر

وطارت الأخبار لمولانا السلطان ساكن القصر العاجي وبدل ما يعقد الحلبة والمغات ويزوق الأبريق يولع الشمع ويرش ملح السبوع صابه الفزع وانجزع ودوغري أصدر الفرمان الهمايوني بالقبض ع الزهور وحبس كل اللي ممكن يقدر.. يشم النسيم.

وكان شهاب سعد معانا في معتقل القلعة الرهيب وكان شهاب سعد معانا في عنبر ج يسجن القناطر وكان معانا في عنبر التجربة البشع في ليمان طره طفل ساحر البراءة يفكرك بجيفارا والحسين وزهران وسليمان خاطر والسيد المسيح.. كانت ابتسامة الرضا على وجهه الجميل بتشيع الأمان في زنازين القلعة وعنبر ج في القناطر وعنبر التجربة في ليمان طرة.

عمري ما سمعت صوته رغم عشرة السجن الطويلة.. كان بيتكلم بعنيه وكانت عنين شهاب أفصح ما فيه.. أول ما تقابلهم تسمع من كل عين غنوة فرح لبكرة اللي جاي أكيد وشايل في حضنه القمح والعدل وفساتين البنات وبالونات العيد.

ودارت الأيام واتفرقوا المساجين.. اللي فضل هنا غرق لشوشته في الغربة وعشق الناس والطين واللي سافر، هنا شال العشق والمعشوقة جواه ومشي بيهم بلاد الله.. خلق الله.

سنين طويلة فاتت علينا بحلوها ومرها وإحنا مابنتقابلش بالأجساد.. لكن الأرواح ما افترقتش لأنها أصلاً ما خرجتش من سجن الوطن!

ومن كام يوم كلمني الصديق المهندس كمال خليل – حادي الحلم والصحبة – وقال لي:

- شهاب سعد مريض بالقلب! والتقرير الطبي الصادر عن وحدة الدكتور شريف مختار بمستشفى قصر العيني بيوصي بضرورة وسرعة السفر إلى لندن لإجراء الجراحة اللازمة لبقاء شهاب على قيد الحياة.

نزل على الخبر بالصمت والحيرة.. ما قدرتش استوعب إن الزهور بتعيا بالقلب وتحتاج للجراحة والسفر زيّنا!

وكمل كمال خليل..

- انت طبعاً عارف إن شهاب لا يملك من دنياه إلا زوجته وطفلتين في عمر الزهور.. ودول مش للبيع ولازم نتحرك بسرعة عشان نلحقه.. وكان الحل من وجهة نظري إننا ننظم حملة تبرعات يشاركوا فيها كل المصريين من خلال جريدة « الدستور » عشان نعالج القلب اللي أضناه السفر في عشق الفلاحة بنت الكلب العنيدة اللي كل ما بنتقهر تحبل وتتوحم في عشاق المحاسن وتتغزل في انتظارهم الغناوي والزمن يقول الله.. كما يا مصر كمان.

- وتاني يوم بافتح أصدق صفحة في الجريدة – صفحات الوفيات – لقيت النعي الحزين – يا ميت خسارة يا ولاد.. خلاص.. شهاب سعد خد إفراج نهائي من سجن العشق والوطن.. صحيح الموت علينا حق.. لكن مش كان لسه بدري.

عن الظاهر الكاظمية

ابنتي الجميلة نوارة الانتصار التي أهلت على الدنيا بطلعتها الميمونة في التوقيت المناسب ٨ أكتوبر سنة ١٩٧٣ حيث كانت مصر المحروسة تسطر في كتاب التاريخ صفحة ذهبية عن أمجد وأعظم انتصار حققته في تاريخها الحديث على قوى البشر والعدوان وتطردهم طردة الكلاب الضالة وتطهر منهم تراب سيناء المقدس.

البنت دلوقتي كبرت بسم الله ما شاء الله وخدت عقبال أملتك ليسانس أداب – قسم إنجليزي – وخراط البنات خرطها وبتشتغل دلوقتي في قناة المعلومات والله يرحم أبوها اللي يا دوبه بيفك الخط. نوارة الانتصار ضمن عشرات الآلاف من بنات مصر غرقانة لشوشتها في الإعجاب بالمطرب العراقي كاظم الساهر ومن كتر ما بتكلمني عنه بدأ الفار يلعب في عبي كأب رجعي ومتسلط فقلت في عقل بالي أشوف سي كاظم ده وتوكلت على الحي الذي لا يموت ونشنت على ميعاد حفلة ليالي التليفزيون ورحت فاتح التليفزيون لأول ويمكن لآخر مرة في حياتي وشفت كاظم الساهر وسمعته كمان.. أولاً هو من النوع اللي ربنا صارف له كم هائل من الحضور والقبول وملك الملوك إذا وهب لا تسألن عن السبب أما عن صوته فهو صوت سليم وحساس لكن ما هواش ناظم الغزالي ولا محمد قنديل ولا وديع الصافي لكنه يتميز عن كل هؤلاء بحسن اختياره لأغانيه من حيث الكلمة واللحن البسيط ولقد استمعت منه لقصيدتين جميلتين للشاعر العربي الكبير نزار قباني فتذكرت تلقائيًا مطربنا الراحل عبد الحليم حافظ وحين غني باللهجة العراقية المخففة وصلتني معانيه وكأنها مصاغة بالعامية المصرية ولعل المصدر الرئيسي لتعاطف بنات مصر مع كاظم الساهر هو الانكسار البادي على ملاحمه والذي يذكرك بالمرحوم عبد الحليم حافظ الذي عاش سلطان زمانه في قلوب العذارى والثيبات وحين ودع الدنيا خرج منها محمولاً على أكتافهم ومشيعًا بالآهات الحارة الصادرة عن قلوب ملتاعة – ابكو ابكوا يا بنات.. اللي علمكو الحب مات – أطال الله في عمر كاظم الساهر وأهلاً بيه في قلوب عذارى مصر واستديوهات التسجيل بها وقاعات الاحتفالات الرسمية وقنوات التليفزيون المصري كأي فنان عربي موهوب ومن حسن حظ الفنانين العرب الأشقاء الذين اختاروا مصر المحروسة مركزًا لنشاطاتهم أن الشعب المصري العظيم يملك حسًا فنيًا لا يعرف التعصب ولا القبلية واسألوا أرواح اسمهان وفريد الأطرش كيف احتوتهم قلوب المصريين في ظل وجود الملكين أم كلثوم وعبد الوهاب، نصيحة أخيرة أسديها لكاظم الساهر: إذا أردت أن تحتفظ بحب المصريين فعليك بالجديد والجديد دائمًا لأننا شعب يعشق التجديد مع أطيب التمنيات بدوام النجاح.

سيد الكوري

في لقائه بالقيادات الثقافية الرسمية من افتتاح معرض القاهرة الدولي للكتاب أضاف الرئيس مبارك عبارة جديدة على قاموس الحكام السياسي في العالم الثالث عمومًا وفي الوطن العربي خصوصًا! فحين توجه إليه الأستاذ عبد العال الحمامصي بالسؤال السرميد عن علاقة السلطة بالمثقفين. بمعنى هل من حق كل المصريين أن يختلفوا مع الحاكم دون أن تبتلعهم أحشاء الزنازين أو تحاصرهم اتهامات كتبة السلطان بالخيانة والعمالة أو يضيق عليهم في أرزاقهم – تاني؟

أجاب رئيس مصر قائلاً: كل الأقلام التي تكتب في مصر – أقلام وطنية.. وبديهي أن هذه العبارة ليست شهادة لكتاب مصر المحروسة لأن شهادة الوطنية لا تستخرج من مكاتب السجل المدني ولكنها شهادة ملزمة لكل مؤسسات الدولة إلى جانب كونها ميدالية علقها الرئيس على صدر النظام المليء بالثقوب والطفح الجلدي. وإذا كانت هذه العبارة بداية حقيقية لعلاقة صحية بين السلطة والمثقفين فحبًا وكرامة. وكده نبقى بالفعل على مشارف مرحلة جديدة من العمل الوطني تتضافر فيها كل الجهود لإنقاذ ما يمكن إنقاذه والتصدي الحقيقي لغول الفساد الذي أكل الأخضر واليابس وأصاب الناس باليأس والاكتئاب والضعف الجنسي.. ولأن الشيء بالشيء يذكر فضروري ومن كل بد الرجوع قليلاً إلى الوراء – تاني برضه – عشان نتعرف مع بعض على الإرهابي الكوري الخطير اللي تلقى التدريبات الخاصة في بيونج يانج ثم جاء إلى القاهرة لقلب نظام الحكم بالقوة المسلحة ولكن عين الأمن الساهرة تمكنت، رصده وضبطه وبحوزته القنبلة اللي فيها السر وعلاوة على ذلك اعتبره الرئيس السادات وأحدًا من أخطر ستة على نظامه فأصدر قراره بالعفو عن جميع الطلبة المعتقلين والإبقاء في السجن على الخمسة المندسين ومعهم الإرهابي الكوري المذكور وكانت القلة المندسة لا تزيد على خمسة عناصر هم – جلال الجميعي – مهدي الحسيني – حسين محمد حسين – الشيخ إمام – أحم فؤاد نجم – وأنا فاكر الشاويش جمال، شاويش الدور في سجن الاستئناف اللي قابلنا أول ما وصلنا وسألنا: فيكو حد بيعرف كوري يا أفندية؟ – قال له جلال الجميعي – كلنا بنعرف كوري يا شويش – ضحك الشويش بفخر وقال وكأنه بيكلم نفسه – أنا قلت كده.. أمال شيوعية إزاي؟ – وفي زنزانة منفردة لقينا الإرهابي المزعوم عبارة عن شاب نوبي متخلف عقليًا لدرجة إنه ما يعرفش غير إن اسمه سيد وأصل حكايته إن أبوه السفرجي في فندق سميراميس أصيب بالشلل وأراد رئيس السفرجية مساعدته فطلب منه إرسال ابنه سيد للعمل مكانه في سميراميس وأثناء سير سيد مع أحد أقربائه في ميدان التحرير كانت الشرطة تطارد الطلبة المتظاهرين فما كان من قريبه إلا أن خلع وسابه فقبضوا عليه واقتادوه إلى قسم قصر النيل وأمام الضابط شاف أخونا سيد زجاجة مولوتوف فمن باب الاستعباط قال للضابط – دي بتاعتي إديهالي! وفعلاً إدهاله وعمل له بيها قضية على مقاسه وما نعرفش بقى مين اللي كتب السيناريو المحبوك اللي صدقه الرئيس السادات واتكلم عنه في خطاب عام إلى الأمة! والطريف في الموضوع إن كل السجن ضباط وسجانة ومساجين كانوا مسميينه سيد الإرهابي وأحيانًا سيد الكوري والأطرف بقى حصل لحظة الإفراج فقد فوجئنا بسيد الكوري يبكي بشدة ويرفض مغادرة الزنزانة وبالاستفسار من سيادته تبين إنه عايز ياخد بطانية السجن معاه! وضحك الشاويش جمال وقال لنا: بقى هو ده اللي بتقولوا عليه عبيط؟ دا عايز يسرق الحكومة.. صحيح ما حدش عبيط في البلد دي يا ولاد.

سؤال. فين التلامذة يا عم حمزة؟!

إحنا كنا تقريبًا في آواخر سنة ٧١ وأوائل سنة ٧٢ وكان الجرح لسه بدمه ودم الشهيد لسه سخن وعسكر اليهود بيستحموا ويبلبطوا في مية الكنال عيني عينيك.. واوعى الشيطان يوَدْوِدْلَك إن القاهرة كانت متأثرة بالكلام الفارغ ده؟ فشر.. شارع الهرم كان شغال بكفاءة عالية والعربان كانوا قايمين نايميين عندنا وعاملين السكة قياسة من المهندسين لشارع الهرم ومن شارع الهرم للمهندسين وعدوية بيغني والناس كلها بتغني وراه – السح الدح امبو – لدرجة أن الشرذمة الضالة اللي رفضت التهجير وتشبثت بالأرض في مدن القناة كانوا مسمين القاهرة – القاهرة الشقيقة! – شوف الحقد يا جدع!

وفجأة حصلت الموقعة الرهيبة على أرض ستاد القاهرة المعظم قال لك هجم الفتى مروان الشهير بالكنافاني سبع الليالي وحارس الأهلي المنيع على العدو الزمالكاوي فاروق جعفر وشهرته – ملك النص – بعد ظبطه متسلل خلف الخطوط الأهلية وضربه بالجوز في وشه زلزل حيطان صداغه ورماه ع الأرض – مغشيًا عليه – راح الحكم مصفر وحاسبها بِلِنْ. ودي كانت هي الشرارة اللي اشتعلت نار الحرب الأهلية في المدرجات وانتشرت منها إلى سائر المدن والدساكر في شتى أنحاء مصر المنكوسة. وكان فاضل لها تكة وتجيب عاليها واطيها واللي زاد الطينة بلَّه إن الأخوة الصحفجية تبع الدولة ما كانش عندهم حاجة يقولوها للناس فما صدقوا لقيوا موضوع يرغوا فيه راحو قافشين فيه بإيديهم وسنانهم زي العدوة اللي اشتهت نايبة أو عدم المؤاخذة الكلب اللي مسك عضمة وأصبح السؤال الفلسفي المطروح بشدة على المواطن المصري المهزوم الدايخ – هل هي بلن ولا ما بلنش؟ – وتاهت عيشه في سوق الغزل.

إحنا بقى.. الشيخ إمام والعبد الفقير كنا لسه خارجين من المعتقل بشوكنا بعد تلات سنين عجاف قضيناهم في زنازين انفرادية ما بين معتقل القلعة الرهيب وتأديب سجن القناطر المعفن عشان نحرم تاني مرة نجيب في سيرة حد خصوصًا لو الحد ده من أسيادنا!

ليلة الخروج شربنا فنجالين قهوة في مكتب اللواء أحمد رشدي اللي كان أيامها مفتش كبير في جهاز مباحث أمن الدولة وأثناء شرب القهوة طلب مننا إننا ننسى اللي حصل!

وقال لنا بالحرف الواحد

- إحنا كلنا وطنيين زي بعض وإن الخلاف في الرأي لا يفسد للود قضية وفوجئ الراجل وأنا معاه بالشيخ إمام بيشخر وبيقول له:
- شيلاه يا سي ود.. وهو من شروط الود إنك تعتقلني عشان اختلفنا يا سي ود! وبلع الرجل الطيب ريقه وقال الشيخ إمام:
- اللي اعتقلكم المرحوم عبد الناصر

قال له:

- وايش عرفك إنه مرحوم؟

الراجل قال لك ما بدهاش وراح داخل في الموضوع.

- شوفوا بقى – اللي اعتقلوكم أهم في المعتقل واحنا ولاد النهاردة والشلة اللي كانت ملمومة عليكم اتبعترت وإذا كنتم عايزين تغنوا يبقى من خلال جهاز الإعلام – برا جهاز الإعلام – لأ، وإوعوا تفتكروا إن الديمقراطية حتحميكوا مني.

قلت له:

- سعادتك تتطمن خالص لسبب بسيط جدًا إن احنا أصلاً مش مصدقين إن فيه في البلد دي ديمقراطية من أصله!

واحنا مروحين لقيت إمام بيقول لي:

- كده تبقى غفلقت يابو النجوم

قلت له:

- تغفلق يا سيدي ولا ييجي عالهيا واطها.. قال يا قرد حسيخطوك قال لي:

- والحاجات اللي اتلحنت في المعتقل دي.. حتبوظ بقى ولا إيه

قلت له: إيه

ضحك وقال لي:

- والله يا أخي انت فايق ورايق

قلت له:

- دماغك يا إمام – إحنا امبارح كنا في جره والنهاردة خرجنا برا عايز إيه تاني.

قال لي:

- عايز أغني

قلت له

- ما تغني.. انت في حد ماسك بُقك.

وروحنا حوش آدم – كانت أول ليلة من ليالي رمضان وما أدراك ما ليالي رمضان في حي الحسين عمومًا وخصوصًا حوش آدم.

استقبلتنا الكهارب والزينات وحرارة المودة اللي احاطونا بيها أهالي الحوش وكانت سهرة من سهرات العمر اللي ما تتنسيش.

لكن بعد السهرة كل واحد روح على بيته وفضلنا أنا وإمام ومحمد علي بوزنا في بوز بعض ودي في حد ذاتها حاجة تجيب الفقر الدكر والعياذ بالله يومين تلاتة وذات صباح وعلى ريق النوم جالنا الهاتف من الحوش.

- يا شيخ إمام يا أستاذ نجم

بصيت من شباك المسقط والقى لك شوية عيال على شوية بنات ما تفرقهمش من بعض لأن الجميع سايبين شعورهم خنافس.

قلت:

مين؟

قالوا

- احنا الطلبة

- طلبة إيه؟

- طلبة الجامعة

- جامعة إه؟

راحت بنت منهم قايلة.

جامعة حبشي.

رحنا ضاحكين كلنا وكملت البنت

- لكن انت ناوي تستجوبنا من فوق كده كتير؟

وراحوا هاجمين على السلم وفي ظرف ثواني كانوا قاعدين معايا في الأوضة.

- إيه بقى يا سيدي انت وهي وهو.. فيه إيه؟

قال واحد فيهم

- لا اتطمن

أبص في العيال شمال يمين حاجة تفرح – العيال ملوا علينا الأوضة ونس ودفا وخفة دم مصرية من على أبوها. دا غير الثقة اللي في عنيهم اللي ما تعرفلهاش سبب ولا مصدر.

- انتو مين يا ابني؟

- ما قلنا لك احنا طلبة الجامعة

- وعازين إيه؟

هو انت ما عندكش خبر؟ إحنا معتصمين في الجماعة حتي تجاب مطالبنا

- اللي هي إيه بالصلا ع النبي؟

- اللي هي تحرير الأرض المحتلة وإعادة توزيع الثرورة بالصلا ع النبي وإقامة حياة ديمقراطية صحيحة بالصلا ع النبي برضه

وصرخت بعلو صوتي

- إلحقني يا إمام

ونزل إمام يجري من فوق.. قلت له :

- سلم على مصر.. مصر صحيت يا إمام

وفي ظرف دقائق كان إمام ماسك العود وبيسجل لهم كل الحاجات الجديدة اللي اتعملت في المعتقل بعد ما فهمونا إن كل الحاجات القديمة عندهم وحافظينها.. قلت له:

- إنت مش بتقول إنك عايز تغني، غني بقى لما تشبع غنا وغنى الشيخ إمام من جديد في حضن دافي طاهر. حضن الانتفاضة المجيدة للطلبة المصريين اللي بدأنا معاها مرحلة انطلاق جديدة بعدما.

رجعوا التلامذة

يا عم حمزة

للجد تاني

يا مصر إنتي اللي باقية

وإنتي

قطف الأماني

لا كورة نفعت

ولا أونطة

ولا المناقشة

ولا جدل بيزنطة

ولا الصحافة

والصحفجية

شاغلين شبابنا

عن القضية

قيمولنا صهبة

يا صهبجية ودوقونا طعم الأغاني

وإلى اللقاء مع باقي المشوار.

باطل وقبض الريح

المجد والخلود والنصر والبقاء للشعب الفلسطيني البطل.. وأما ما عدا ذلك فباطل وقبض الريح.

الإحصائيات اللي نشرتها وسائل الإعلام العالمي بتقول إن عدد الشهداء في كل فلسطين المحتلة بلغ ٧٠ فقط لا غير، وأنا بأقول والبقية تأتي، على رأي المثل الشعبي: (طول ما انت طبال أنا زمار).. طول ما هذا الكيان العنصري الكريه مغروز في لحم الأمة هيفضل شلال الدم الطاهر متدفق زي النافورة وهيفضل عدد الشهداء في تزايد مستمر يوم بعد يوم وساعة بعد ساعة وثانية بعد ثانية واحنا وحياة رأس الحسين قدها وقدود.

من سنة ٧٣ ومخطط تهميش الشعب العربي وتدجينه و (هطله) لم يتوقف لحظة وبكل الوسائل الممكنة وغير الممكنة بدءاً بترويج الفن الهابط والثقافة الصفراء وانتهاء بجعل هم الناس ينحصر في لقمة العيش اللي أصبح الحصول عليها عمل بطولي يستحق التدوين في الموسوعات العالمية. ولم يكن فتح النفق المجاور للمسجد الأقصى سوى عملية جس نبض، وفي تصوري أن السفاح القذر بنيامين النتن لو كان حسبها صح وقدر رد الفعل الفلسطيني ما كانش أقدم على هذا العمل الجنوني. وسيبك من التهويش وطق الحنك اللي تضمنته تصريحاته الأخيرة. صدقني ده مجرد هذيان من صدمة رد الفعل البطولي اللي لخبط كل الحسابات ونزل الخواجة المتواطئ (كليمتوم) من برجه العاجي وشده من حملته الانتخابية وأرغمه على دعوة النتن وصديقه عرفات للتشاور في الأمر وكسب الوقت لعل وعسى.

وإذا كان الشعب الفلسطيني بيقدم كل هذه التضحيات الغالية وبمنتهى الرضا فده مش جديد عليه.. لكن الجديد فعلا في الموضوع هو انفراد الفلسطينيين العزل بالدفاع عن المقدسات الدينية لكل المسيحيين والمسلمين في هذا العالم التعيس وأمام ترسانة الأسلحة الأمريكية الرهيبة اللي أصبحت لعبة في يد إسرائيل الطفل المدلل لماما أمريكا والحارس الأمين للمصالح الأمريكية اللي هي النفط والثروات الطبيعية الهائلة في الوطن العربي المتلى.

مرة أخرى المجد والخلود والنصر والبقاء للشعب الفلسطيني البطل وأما ماعدا ذلك فباطل وقبض الريح.

إنذار بالإعجاب على يد.. محضر!

سيادتك دا مش مطلع أغنية شبابية.. ولا لا سمح الله عنوان مسلسل هابط ولا أفيش فيلم مقاولات ولا اسم مسرحية عدم المؤاخذة قطاع خاص.

سيادتك دا كلام مسجل في ورق رسمي وعليه ختم النسر وصادر من قلم محضرين محكمة الأزبكية الجزئية بتاريخ ١٩٩٦/٢/٢٥. ووارد لإدارة المسرح الكوميدي بتاريخ ١٩٦٦/٣/٢ لتسليمه للمخرج عصام السيد مدير المسرح المذكور!

والإنذار طالع من مكتب نبيه الوحش المحامي ومحله المختار مكتبة رقم ١٨ نفق السبتية عمارة العريش وبور سعيد أمام معهد الخدمة الاجتماعية بالقللي دائرة قسم الأزبكية. والمحضر اللي حمل الإنذار يدعى صلاح محمد. أما صاحب الإنذار فده سيادتك موضوع قائم بذاته.. شخص دماغه لاسع بحب مصر المحروسة يدعى نبيه الوحش المحامي طقت في دماغه يوم السبت ١٩٩٦/٢/١٠ يخطف رجله لحد مسرح محمد فريد ويتفرج على العرض المسرحي الجميل – مساء الخير يا مصر – وأنا لما باوصف العرض بـ الجميل باقول انطباعي بعد ما شفت العرض واستمتعت بيه إيما استمتاع.. القصد.. يقوم يشاء السميع العليم ولحكمةٍ لا يعلمها إلا علام الغيوب إن سفير الكيان الصهيوني لدي حكومة مصر العربية يحضر العرض في نفس الليلة الي حضرها أخونا اللاسع بالله نبيه الوحش المحامي فيجري ما جرى قدام عينه فيضرب الربع اللي فاضل في دماغه ويهديه تفكيره الشيطاني إلى ارتكاب هذه الحماقة المصرية النبيلة عشان تكمل بيه دائرة عشاق مصر المجانين المكونة أصلاً من فريق الفنانين والفنيين أبطال العرض المسرحي – مساء الخير يا مصر – وعصام السيد مدير المسرح الكوميدي وتحاصر الدايرة حشرة دنيئة خانت شرف مهنة الصحافة الي بتنتسب إليها مع الأسف الشديد وخانت دم جوزها الطيار الشهيد اللي قتلوه الصهاينة وسرقت دعوة مجانية أو تحايلت على استلامها من إدارة المسرح عشان تهديها للسفير الصهيوني يحضر بيها العرض في غفلة من الجميع ويبلغ بيها الفجر إنها تحضر العرض بصحبته!

أنا مش ح أوجه كلمة شكر لأي واحد من اللي ورد ذكرهم سواء هنا أو في الإنذار لأني أولاً مش وصي على الوطنية في مصر وثانياً أنا ماليش في مصر اكتر من أي واحد فيهم.. كمان أنا مش ح أشرف حشرة الصحافة باللوم ولا حتى بالسب لأنها مجرد – حشرة –.

أنا بس بعدما تشوفوا صورة الإنذار المنشورة تحت المقال عايز أتوجه بعدة أسئلة لعشرات الأصدقاء المنضوين تحت لواء البابالعالي مولانا السلطان الأعظم نجيب الأول ابن شهاب الدين شاعر البسطاء وإمام الكؤباء ومؤسس دولة بني يغموم في مصر المحروسة.

بذمة النبي.. الشعب المصري ده له أي نوع من الحلول؟ حد يقدر يلوي دراعه؟ يحوق فيه التجويع فيرضخ للتطبيع؟

وحنروح بعيد ليه ما تيجوا نرجع لنبي العامية المصرية سيدي أحمد ابن عروس عليه السلام اللي قال في كلامه العزيز:

من عشجنا عشجناه

وصار متاعنا

متاعه

ومن كرهنا

يحرم علينا اجتماعه.

الكلب.. والملك..

الأسد الجليل.. ملك الملوك الجبار.. اللي مجدر ذكر اسمه يرعب الوحوش في الفلا ويخنق غناوي الطير على الأشجار.

قاعد في مجلسه المهاب بين الحشم والأتباع والكل بيسمع باهتمام مصطنع لشاعر البلاط في قصيدته الجديدة – المكررة – اللي بيعدد فيها مناقب الملك الموروثة عن أسلافه العظام – وفجأة دخل الحاجب ووطى على ودن الملك ووشوشه.. ولاحظ الجميع الاهتمام على وجه الملك وهو بيقول للحاجب:

- خليه يتفضل.

واتجهت الأبصار إلى باب القاعة الملكية اللي دخل منها التعلب المكار في حاله مزريه ووقف بين إيدين الملك في انكسار وهو بيقول:

- لولا إني من أخلص الأتباع وحب مولانا الملك بيجري في عروقي مع الدم ما كانش الأمر همني ولا كان الموضوع شغل بالي.

وبعد سين وجيم بين الملك والثعلب فهم الحاضرون إن الكلب توتو شرب له كاسين وفقد السيطره على نفسه وعاب في الذات الملكية وهدد بتحطيم رأس الأسد وطحن عضامه وطاح في الجميع وما حدش عارف يلمه وانتقل الأسد الجليل بموكبه إلى الخمارة اللي فيها الكلب توتو دخلوا لقيوا الترابيزات مقلوبه والقزايز عبارة عن فتافيت والكلب توتو قاعد حاطط رجل على رجل وقدامه علبة مارلبورو وقزازة الدميل على وشك الانتهاء، ودخل الملك ع الكلب وسأله:

- انت توتو؟

قال له:

- زي ما انت شايف.. انت شايف إيه؟

قلت له:

- انت عبت في الذات الملكيه؟

قال له:

- يا عم بلا ملكية بلا جمهورية اشتري دماغك؟

ولما هم الملك بالهجوم على توتو قال له:

- لأ – كده تبقى خدتني على خوانه ولو انت ملك صحيح سيبني أروح أجيب قوتي من البيت وارجع أوريك نفسك.

قال لهم الأسد:

- سيبوه يروح يجيب قوته من البيت.

قال له:

- وأنا إيه اللي يضمن لي إنك ما تهربش؟

قال له:

أكيد انت اتجننت إزاي ملك يهرب من كلب؟

قال له:

- يا عم ما تبعليش كلام.. بلا ملك بلا كتابة.. أنا عايز ضمان.

اختار الضمان اللي يعجبك.

قال له:

- اربطك ع العمود ده لحد ما أرجع ألاقيك.

ووافق الملك وجابوا السلب وربطوه على العامود ربطه جمّاله ما فيهاش فكاك وخرج الكلب توتو يجيب قوته م البيت مارجعش ساعة ساعتين يوم يومين جمعة جمعتين لغاية الأسد ما انهد حيله ومصارينه نشفت م الجوع واضطر أن يلجأ للفار علشان يقرض له السلب وتصور الفار إن طاقه القدر انفتحت له فهجم على السلب قرضه بسنانه وأول ما الأسد لقي نفسه اتحرر م التكتيفة نفض نفسه وأدار الفأر ضهره ومشي في اتجاه برا البلد ولما الفار سأله:

- رايح فين يا مولانا؟

قال له:

- بلد يكتفك فيها الكلب.. ويحلك الفار.. مالكش عيش فيها!

اقرأ الحادثة

أيام ماكنت بابيع جرايد في شوارع وحواري الزقازيق. كان المعلم اللي مسرحني يدعى الشيخ عبد الجواد وكان خريج المعهد الديني بالزقازيق.

وأشهد إن هذا الشيخ المعمم كان أستاذي الأول في علوم البكش والأونطه والبلموطي اللي كان بيجيدهم أكثر ألف مرة من أجادته لـ اللغة العربية الأم!

ذات مرة البضاعة رنخت معايا ورجعت له بالجرايد زي ما هي وأنا متصور إنه حيهب في وشي ففوجئت بيه بيضحك وهو بيقول لي بمعلمه:

- انت لسه عضمك طري.. لكن أنا ح أعلمك وأكل من بيتنا.. وبناء عل نصيحته لفعت الجرايد تحت باطي وانطلقت بأقصى سرعتي في الشارع وأنا بانادي بعلو صوتي.

اقرأ الحادثة اقرأ الحادثة. وفي نهاية شارع البوستة اللي هو نفس شارع مكتبة الشيخ عبد الجواد كانت الوجبة جبرت!

النهاردة عاملين جريدة بحالها للحوادث وما حدش بيصدق ولا بيقرأ الحادثة.. وعلى فرض إن حد قرأ الحادثة ما بتفرقش لأن إحنا والعياذ بالله فقدنا الإحساس بالدهشة!! فتقرأ الحادثة ما تقراش الحادثة.. كلها محصلة بعضها وأقرب مثل على كده الحادثة اللي جرت على المسجد الأقصى – أول القبلتين وثاني الحرمين! – منعت قوات الاحتلال الصهيوني آلاف المسلمين من الوصول للمسجد الشريف لأداء صلاة الجمعة واستخدمت قوات بني صهيون الطائرات العمودية والدبابات والمصفحات والمدافع سريعة الطلقات ضد مجموعة من العزل ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ومن باب شر البلية ما يضحك إن جنود بني صهيون كانوا بيقولوا للناس – لا صلاة اليوم! – وأنا دلوقتي باتوجه بسؤال برئ جداً لحماة الإسلام – ينفع نصلي الجمعة يوم السبت!–

يعني كلكوا قمتوا وسنِّيتوا السكاكين على راجل أعلن على الملأ وأكثر من مرة إنه مسلم وموحد بالله وصدرت الأحكام القضائية بتفريقه عن زوجته التي أعلنت هي الأخرى أنها وزوجها مسلمان يشهدان بأن لا إله إلا الله وأن محمداً عبد الله ورسوله.. وكل ده لأنه حاول الاجتهاد في أمور دينه في حين تغمضون عيونكم وتضعون أصابعكم في آذانكم أزاء أكبر وأبشع جريمة تقترف في حق الإسلام والمسلمين – تهويد المسجد الأقصى وصلاة الجمعة يوم السبت!!

ولسه يا ما في الجراب يا حاوي و.. إقرا الحادثة.. إقرا الحادثة.

مين فينا العشوائي

يشاء السميع العليم إن العبد الفقير لله تعالى يستتب في مساكن الزلزال بهضبة المقطم الوسطى كمواطن كامل الأهلية والمواطنة وذو حيثية اجتماعية وعدم المؤاخذة عنده بطاقة و (بزابورت) وتلفون وعداد نور وأنبوبة بوتاجاز وعقد شقة مع الحكومة ذات نفسها وعندي بطاقة ضريبية بس ما عنديش بطاقة تموين ولا بطاقة انتخابات.

وبناء على كل ما تقدم استخرت ربنا وخلّفت زينب بنتي اللي هي « بدون مقاطعة » آخر العنقود ومرت الأيام وكبرت الأنسة زينب وحان موعد دخولها الحضانة.. وبالبحث والتحري لقيت حضانة نميسة على مرمى حجر منزلي العامر ولحسن الحظ طلع اسمها « مدارس المقطم للغات » قلت في عقل بالي وماله يا واد لغات لغات وأنا الحقيقة مش عايز أجيب سيرة المصاريف لأني كل ما افتكرها باتعكنن وعاشن أريح نفسي اعتبرت مصاريف مدرسة زينب زي العورة والأعراض والخوض فيها حرام.. يعني قول كفيت ع الخبر ماجور وكتمت الدم ع القيح ورضيت بالهم ولكن يبدو أن السيد الهم هو اللي مش راضي يتعطف ويتلطف ويرضى بي.

المفروض إن حضانة اللغات دي فيها أتوبيس لفقراء الأطفال اللي تيجي على رأسهم الطفلة زينب أحمد فؤاد نجم بلا منازع، وبالسؤال والتحري عن قيمة اشتراك الأتوبيس اتضح إنها خمسميت جنيه بالتمام والكمال والحمد لله على كل حال، امتصيت الصدمة وتمالكت أعصابي وقلت في عقل بالي وماله يا واد.. أُمة محمد لسه بخير واللي رزق بالمصاريف يرزق باشتراك الأتوبيس اللي همه بيسموه من باب الدلع « الباص ».

وتصدق بالله يا مؤمن؟ إني كنت أسعد مخلوق في الدنيا لما علمت بأنهم رفضوا اشتراك زينب في موضوع الباص لكن لما عرفت سبب الرفض إتاخدت حبتين وما بقتش مصدق.. أتاريهم خايفين على سلامة الأخ الباص من دخول المناطق العشوائية اللي هي مساكن الزلزال!

طب بذمة النبي.. دا منطق؟ طب مانتوا قبلتوا الطفلة نفسها وهي سليلة جميع مناطق مصر العشوائية! يعني انتوا خايفين على أطفال (الزلموكات) من العدوى اللي ممكن تتنقل لهم من الاحتكاك بأطفال الحجارة اللي تعتبر زينب ممثلهم الشرعي والوحيد في حضانة المقطم للغات؟ وبعدين.. مين اللي قال إن القمر يشبه لمحبوب الفؤاد؟ قصدي مين اللي قال إن مساكن الزلزال بهضبة المقطم الوسطى منطقة عشوائية؟ أسأل السيد الوزير المحافظ عمر عبد الآخر؟ والا أسأل الدكتور حسين كامل بهاء الدين وزير التعليم؟ والا أسأل اللواء حسين الألفي وزير الداخلية؟ والا الموضوع أكبر من كده بكتير وفي الحالة دي ألجا لمجلس الأمن الدولي؟ والا اكتفي بشكوى الجميع للذي لا يغفل ولا ينام؟.

أكيد فيه حد دلق حاجة أصفرة!

هي طبعاً مش من النوع اللي بنشوفه في السينما لأ.. دا نوع جميل ومبروك زي مية زمزم وماء المزن اللي بيحكوا عليه.

واحد أبن حلال خلا بحر المنصورة نايم وراح دالقهم فيه.. ومن يوميها وطرح البحر قال خد عندك.. أم كلثوم والسنباطي وكامل الشناوي وعلي محمود طه، وأفضل أعدلك من هنا للمنصورة ولا ينتهيش العد.

وإذا كانت كمشيش في المنوفةي قب لما تجود بصلاح حسين وشاهنده بدرت قبلهم بشاعر البؤس العبقري عبد الحميد الديب فالسنبلاوين في المنصورة بعد ما بدرت بأم كلثوم والسنباطي لحقتهم بشاعر بؤس لا يقل عن عبد الحميد الديب لا في البؤسي ولا في العبقرية.. ألا وهو.. مصطفى الطاير وإذا كان فيه في حياتنا شخص حقيقي اسمه الحظ فأنا باشكره بشده لأنه جاملني يوم ما عرفني على مصطفى الطاير ومنحني فرصة إني أصاحبه فترة من الزمن اكتشفت خلالها إزاي الإنسان يشرب مر ويفرز عسل! كنا قاعدين مرة على قهوة – أفندية – في سيدنا الحسين: مصطفى الطاير والمرحوم الشاعر حامد الأطمس وأنا، وإذا بشحات ينشن على مصطفى الطاير بالذات ويقول له:

- والنبي يا بيه أنا مش من البلد دي وبقى لي يومين ماكلتش وبدون تردد قال له مصطفى الطاير:

وإيه المشكلة؟ طب ما أنا م البلد دي وبقالي سنة ما كلتش! وضحك الشحات وانصرف.

وإذا كان الزمن اضطهد مصطفى الطاير ضمن ملايين المضطهدين، فإن مصطفى الطاير من القلائل اللي خدوا بتارهم من الزمن وخلوا فضيحته بجلاجل وقالوا فيه ما قال مالك في الخمر.. مثلاً:

أنا للي صبري غلب
صبر النبي أيوب
وشفت أكتر كتير
م الوعد والمكتوب
وصبح في المجتمع
تافه ومش مرغوب
وإسمي أصبح ما بين المخلصين
دعوه لأني طالع
بعيد عنك أديب موهوب؟

ولأن الزمن هو ناسه بكل ما فيهم من المزايا والعيوب.. حنلاقي مصطفى الطاير بيوصف أصدقاء الزمن العايب ويقول:

أخلص صديق
كنت فاكر إنه ينفعني
في الشدة باع الصداقة
بعد ما باعني
واللي اشتكي له الظروف
ألقاه يوزعني
وأنا جاي له ماشي
وكتير المشي تاعبني
حتى الهدوم اللي فوق جسمي
بتوجعني!!

وزي أي فنان ساخر عظيم ما بيسلمشي مصطفى الطاير من لسان مصطفى الطاير وبيقول فيه:

البدلة فوقي مفتقة

ولونها انطفى

حتى القميص اجْرَبّ

من عرق القفا

لو كان بيتكلم

لقال من دون خجل

ملعون أبوك

لابو اللي سماك مصطفى.

ورحل مصطفى الطاير عن عالمنا بعد ما خلف تراثًا أعتقد أن أغلبه ضاع نتيجة الإهمال وإلى جانب إبداعه الفني الفريد ترك مجموعة من الأبناء الموهوبين مش قادر اعتقد أنهم أيضًا ضاعوا في سويقة الكاسيت والفيديو كليب.. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وأسامة أنور عكاشة « والعهدة ع الراوي » هرم ولدته الست الطاهرة في لحظة رضا وتجلي.. وياما لحظات رضا وتجلي في عمرك الممدود يا مصر يا محروسة بزنود ولادك وبركات السادة – أولياء الله الصالحين – مدد يا سيدنا الحسين يا ابن بنت النبي يا ولي النعم يا أمير الشهداء.. ومدد يام هاشم يا ستنا يا رئيسة الديوان يام العواجز ياندهة المنضام.. ويا سيدي علي يا زين العابدين يا عترة النسل الطاهر الشريف نظرة ومدد مدد يا نفسية العلوم يا بحر المدد ويا عالم قريش العلم يا ابن إدريس يا شافعي يا ساكن قرافة الإمام على طول المدد.. وعذرا يا سادتي يا من يضيق المقام بذكركم يا من تحرسون الحمى من كيد العدا ولؤم اللئام.. مني عليكم ومن جميع أهل مصر الطيبين عاطر المحبة وفاخر السلام.. وأعوذ بالله من قولة أنا فاكر لما افترجت له ع المشربية والشهد والدموع في بداياته ما قلتش زي اللي قابلنا ما قالوا – الفرخ الفصيح في البيضة يصيح – لكن سألت نفسي سؤال تقدر تسميه فلسفي – والعياذ بالله – إيه أظنى فؤاد المجنونة بنت المجانين اللي اسمها مصر تولد نجيب محفوظ للتليفزيون بينما نجيب محفوظ للرواية لسة عايش وربنا يطول عمره كما وكمان؟!.. قول واندفعت نافورة السحر من قلب الشاطر أسامة المصري عشان تملا حياتنا فن وحواديت وشبهة فكرتنا بسحر حواديت المهد اللي ياما هدهدت عيون البنات والولاد وسلمتهم لأحضان ملائكة النوم وغناوي عصافير الأحلام.

.. والمدهش في الشاطر أسامة المصري إنه كل ما بيطول الحكى بيحلو الكلام وكأنه راقد على بحيرة عسل سرياقوسي ومحاوطها شجر التمر حنة وليمون البنزهير وأكيد أيكد إن المشير محمد حسين طنطاوي في الأصل فلاح مصري متربي ع الحكمة والمواويل لأنه لما اختار الشاطر أسامة عشان يحكي للعالم عن ملحمة أكتوبر النصر سنة ١٩٧٣ كان فاكر المثل الشعبي المصري الفصيح – إدى العيش لخبازه ولو ياكل نصه – مش باقولك.. فلاح؟ وهي العقله اللي كلوها بني صهيون سنة ١٩٧٣ ينفع نسيمها غير عقلة فلاحين! والفلاحين في بلدنا يعشقوا المواويل والحكاوي لأنهم أصل المواويل وصناع الحكاوي. ولما مصر تمول وتحكي بتوقف الطير ع الشجر.

ويا شاطر أسامة المصري يا راوي العطش والأشواق ومجسد الحلم في الحواديت وصِّيتك وصية وأمِّنتك أمانة.. لا تبلع لسانك ولا تحتار ولا يرتعش بين صوابعك القلم.. إحكي يا شاطر أسامة عن عبد العاطي – آكل الدبابات! – وعن عبد المنعم رياض وعن خاطر وعن أيمن وعن شبابنا اللي راح في عمر الزهور وعلى وجهه الجميل ابتسامة الرضا بالنصر والشهادة.. عليهم ألف رحمة ونور.. ولادك يا مصر يا ولادة يالسعة المواويل ومعنى الحكاوي على طول الزمان.

حبل البقرة

أحياناً بيبقى الباطل عينه قوية! زي اللي إحنا فيه.. والإشي بقى لو الباطل ده مسنود على قوة.

عمك علي أبو سماحة فلاح النيل الشقيان – الجعان! – زنقت معاه وفضلت تزنق لحد ما قرر إنه يبيع البقرة! والفلاح مجرد ما يفكر إنه يبيع بقرته يبقى قرر الانتحار.. لأن البقرة في دار الفلاح هي المواطن رقم واحد، لأنها المصدر الرئيسي للدخل. عمك علي ماشي ع الزراعية منكس رأسه وباصص في الأرض وساحب البقرة وراه ولتنين مشكّلين عبارة عن موكب جنائزي حزين وضئيل وصامت وإذا بغيط الدره ينشق عن شخص طويل عريض هجم على عمك علي ونتش من إيده حبل البقرة بحركة عنيفة ومفاجئة!

عمك علي بص لجسده الهزيل وكأنه بيقيسه وبص للعون اللي قدامه وحسبها في دماغه لقيها ما تنفعش تمشي عافية.. فقررينادر.. وفي لمح البصر كان عمك علي راسم على وشه ابتسامة ودودة وقال لـ اللص بصوت مشحون بالمودة.. انت نتشت من إيدي حبل البقرة ليه يا عم؟ رد اللص بحسم: رايح فين؟

قال له: رايح ابيع البقرة في السوق وعلى رأي المثل قالوا له يا جحا إيه اللي رماك على المر قال اللي أمر منه.

ولأنه ما عرفش يقرأ رد فعل كلامه على ملامح اللص الميته. أضاف بسرعة وعلى العموم أنا مش زعلان ولا حاجة.. كل اللي يجيبه ربنا كويس.. واللي بيجي في الريش بقشيش.. وسيب بقى حبل البقرة.

قال له: استنى أما اخلص كلامي يا حيوان.. وحتبيع البقرة بكام؟

قاله بلهجة ودودة النفاق: ودا برضه سؤال يا محترم؟

وكان حيبتدي يسخن ولولا ضغط على أعصابه وكمل وهو مبتسم.

- أنا قصدي يعني.. المسائل دي بتبقى.. بختك يا بو بخيت. لأنه عدم المؤاخذة السوق مالوش كبير.. يعني زي ما تقول جنابك كده عبارة عن بطيخة مقفوله وانت بقى وحظك.. تطلع قرعة تطلع حمرا.. كل حي ونصيبه.. إنما والله فرصة سعيدة اللي شفناك.. وهات بقى حبل البقرة لو سمحت.

وبص على وش اللص يشوف تأثير كلامه لقاه بيبتسم فما صدقش عينه! وزادت دهشته أكثر لما لقى الحرامي بيطلع من جيبه علبة سجاير وبيمدها له. وهو بيقول له:

خد دول عفرهم في الطريق.. سيجارتين. حيلة الشاب يا رب ضحك عمك على بارتياح وقال لـ اللص.

- الحمد لله ربنا تايب ع العرايا من غسيل الصابون.. كيوف إيه يابن والدي؟ مش لما نبقى نلاقي العيش الحاف الأول! عموماً تشكر جنابك على كل حال. ومن فضلك بقى سيب حبل البقرة.

اختفت الابتسامة من على ملامح اللص وبدأ وشه يضرب بصفار وعينه تضرب بحمار وفضل مادد إيده بعلبة السجاير في وش عمك على اللي بسرعة فهم الرسالة فمد إيده ياخد علبة السجاير وهو بيقول:

- لكن هدية الحبيب لا تهدي ولا ترد. وبيني وبينك بقى.. ما هو الدهان ده له فوايده برضه.. أقل ما فيها أهو بيحرق فضلات الأكل في المعدة (وضحك باستظراف وكمل) دا في حالة ما إذا النفر مننا لا سمح الله حصل له أكل.. وعلى العموم يا مولانا هدية مقبولة والنبي ذات نفسه قبل الهدية وسيب بقى حبل البقرة.

قال له مش ح أسيب حبل البقرة إلا امَّا تقوللي.. لو ربنا سهلها معاك وبعت البقرة حتجيب لي إيه؟

عمك علي أبو سماحة من شدة غيظه فقد القدرة على تقييم الموقف فقال بما يشبه الاندفاع أما دي عبارة يا ولاد! وإيه اللي حيخليني أجيب لك انت بالذات؟

واشمعنى يعني: وكان لسه حيستسرسل لولا إنه لمح شيء بيلمع في إيد اللص ولما دقق اكتشف إنه قرن غزال.. فراح ضاحك وهو بيقول:

يو يو يوه.. دانت باين عليك خدتها بجد! يا راجل دا انى باهزر معاك.. طب وهو انت لا قدَّر الله لو جيت على عيل م العيال ح أعزه عنك؟ وعليَّ اليمين لتقول لي نفسك في إيه واني اجيبهولك م العين دي والعين دي دانت وشك سمح واصطبحتك باين عليها نادية.

ولأول مرة ينطق اللص وقال لعمك علي: وانت راجل نطع وخسع وطماع وغبي ونتن كمان!

قال له: كتر ألف خيرك وتشكر على كل حال – أنا بس كنت بأقول....

قال له: لا تقول ولا تعيد.. انت تجيب لي معاك علبة سجاير لو ربنا كرمك وبعت البقرة.

قال له: بس كده؟ غالي والطلب رخيص.. سيب بقى حبل البقرة الله لا يسيئك وساب اللص حبل البقرة. وسحب عمك علي أبو سماحة بقرته وراح بيها السوق وسلمها بإيده للتاجر وخد بدلها رزمة ورق أخضر وعليه رسومات حكومية مافهمش منها حاجة.. كل اللي فهمه إن شوية الورق دول بلغة السوق اسمهم ميتين جنيه مشي يحسب فيهم ويتحسبن لقيهم ما يحلوش المشكلة إنما ممكن يأجلوها بس.

وأثناء ما عمك ماشي يحسب ويتحسبن وفي نفس المكان اللي طلع منه الحرامي فوجئ بنفس الحرامي العملاق بيعترض طريقه ويقول له:

- بعت البقرة؟

قال له:

- الحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه.

قال له:

- بعتها بكام؟

قال له:

بمتين جنيه.

قال له:

- وجبت لي إيه؟

قال:

- علبة السجاير اللي انت طلبتها. إتفضل أَهِهْ، وفوجئ عمك علي أبو سماحة باللص معلقه في الهوى من قَبِّة الجلابية ومَزْوَرُه وبيقول له:
- يا حرامي يا ضلالي يابن المرا الضلالية. بقى أنا أديك كل اللي كان معايا اللي هم السيجارتين – حيلة الشاب يا رب – وانت من ميتين جنيه تجيب لي علبة سجاير؟ والله ما أنا سايبك إلا في المحكمة! وهناك العدل ياخد مجراه.
- وقبل عمك علي ما يستوعب الموقف كان الحرامي مدخله في غيط الذره عشان يلاقي المحكمة منصوبة! بيبص عمك علي في الوشوش أصابه الإنفهاش القراشوللي لأنه اكتشف إن كل الموجودين في المحكمة الخالق الناطق من وش الحرامي إياه! وكأنهم نسخة بالكربون منه القاضي شبه الحاجب والحاجب شبه النيابة وحتى المتهمين اللي في القفص شبه الي قاعدين ع المنصه.. وبدأ المدعى اللي هو اللص يسرد الموضوع من وجهة نظره على اسماع المحكمة.
- كان في زنقه ونجدته.. صعب عليّ يمشي م الدار للسوق خرمان قلبت في جيوبي أطلع له المساعدة مالقيتش في جيوبي غير السيجارتين – حيلة الشابة يا رب – اديتهم له من دون تفكير واتجه القاضي لعمك علي اللي واقف شبه الكتكوت اللي بيقوله المدعى ده يا... علي

قال له:

حصل يا باشا

قال القاضي لكاتب الجلسة:

- اكتب واعترف المتهم بجريمته

وقبل ما يفوق عمك على كان الحكم المشمول بالنفاذ بتجريده من جميع ممتلكاته لحساب المدعي صاحب الحق ويبدو إن أحد المخبرين اللي بيفتشوا عمك علي أدخل إيده في مكان حساس فصرخ عمك علي – حاسب الله يخرب بيوتكم عالم ظلمه.. يا كفره يأولاد الكلب! واعتبرت هيئة المحكمة إن عمك علي بالبقين اللي بعبعهم من غلبه – إهانة لهيئة المحكمة – وقررت محاكمته فورًا بهذه التهمة!

ووطى الحرامي على ودن عمك علي وقال له:

- الحق شدلك واحد محامي لأن دي والعياذ بالله برائتها – الإعدام –.

قال له:

- واجيب محامي منين أنا دلوقتي؟

قال له:

- أنا محامي وتحت أمرك وحاضر عنك.

وبلع عم علي دهشته بفعل الرعب وقال له:

- على بركة الله – إتفضل.

قال له:

- ناخد عربون

قاله:

- ما انت لسه منضف جيوبي وسايبني ع الحميد المجيد.

قال له:

ناخد رهن

قال له:

- ما عادش حيلتي غير هدومي

قال له:

- اقلعها.

- قال له:

- عايزني أقف قدام الهيئة الموقرة بلبوص

قال له:

- لا حياء في الدين.. إقلع

وقلع عمك علي أبو سماحة هدومه واداها للحرامي المحامي اللي وقف يترافع بحماس دفاعًا عن عمك علي وبعد ساعتين من المرافعة والمداولة صدر الحكم ببراءة عمك علي من التهمة وإخلاء سبيله من سراي المحكمة. وانطلق عمك علي يجري على السكة الزراعية عريان ملط وهو بيهتف.

- يحيا العدل.

وامسرحاه...!

اليونسكو اختار القاهرة عاصمة ثقافية للوطن العربي عن عام ١٩٩٦شكرًا يونسكو وشكرً جزيلاً.

لكن ليه ما حدش دري بالموضوع ده، يكونش اليونسكو ده منظمه سرِّيه، ولاّ يمكن الاختيار ده عيب ولا شتومه! ليه المصريين كلهم ما احتفلوش بالمناسبة دي، ليه ما يتحولش تاريخ صدور هذا الاختيار عن اليونسكو إلى أحد أعيادنا الوطنية زي كتير قوي من الأعياد اللي مالهاش أي معنى زي مثلاً يوم وصول فريقنا القومي إلى نهائيات كأس العالم في إيطاليا! فين أجهزة وزارة الثقافة، ويا ترى إيه اللي شاغل بالهم دلوقتي من جلائل الأعمال؟

يا أستاذ فاروق يا حسني يا وزير الثقافة في دولة مصر اللي عاصمتها القاهرة اللي اختارها اليونسكو عاصمة ثقافية للوطن العربي عن عام ١٩٩٦.

إنت ما عندكش خبر بالموضوع ولا إيه؟ طبعًا ما حدش قال لك من لاساده مساعدينك وتلاقيك يا عيني غرقان في مشاكل مصر الثقافية لشوشتك!! عمومًا انت صعبان عليَّ لدرجة إن دمعتي ما بتنشفش من على خدي وبادعي ربنا ليل نهار إنه يكون في عونك يا خويا وينجينا وإياك من الأيام السودا دي ويكفينا وإياك شر اللي ويكفينا وإياك شر اللي ما تطيق شره.. إفرض يا أخي الناس غلطوا واختارونا رواد للثقافة العربية! خلينا احنا الكبار يا سيدي وجبر الخواطر على الله ونقول لهم ما يعملوش كده تاني.. بس يعني أقل ما فيها نبلغ الشعب المصري اللي هو صاحب الرمه ونقول له مبروك.. ولا أنا غلطان!

عمومًا أنا عندي مخرج ح أقول لك عليه وآكل من بيتنا.. طبعًا انت عندك خبر إن المسرح الكوميدي معرض للإزالة ودي حاجة حتنكتب في التاريخ الثقافي والتاريخ ما بيرحمش ... وأنا ما احبش إنه يتقال عن المسرح الكوميدي إنه أغلق وأزيل في عهد الوزير فاروق حسني – عيب قوي.. مش كده! طب إيه رأيك لو الوزارة تبعك تدخلت وأنقذت هذه الرئة الثقافية من الهلاك! تصدق إن ده يبقى عمل بطولي يحطك في كتب التاريخ جنب طه حسين والعقاد وحسن فتحي وجمال حمدان ونجيب محفوظ.. ولا مالكش تقل ع الأشكال دي؟ عمومًا اعتبرها – كادوا – منك لمدينة القاهرة بمناسبة زفافها السعيد كعروسة للثقافة العربية.. وصدقني مش حتندم وعمومًا أنا دليتك على طريق الخير ومش مستني منك كلمة شكر ولكن أحب أقولك إن السطور دي مقدمة لحملة سيشارك فيها كل مثقف شريف دفاعًا عن مبنى المسرح الكوميدي وخد انت المبادرة واكسب بُنط ومش لازم كل حاجة يعملها الرئيس مبارك بنفسه لأن الراجل ما عندوش غير إيدين زيي وزيك وزي باقي خلق الله من سكان هذا البلد الرازخ تحت أسمنت الأبراج والكباريهات.

لأنه.. ما يتوصفش؟

في حلقتنا التالية.. الشيخ إمام وأنا على المسرح ليزا ماندية بإحدى ضواحي باريس الجميلة سنة ١٩٨٤.. لمحته بين الصفوف.. نفس الابتسامة المشحونة بالتواضع ونفس النظرة العميقة المتفائلة تونفس الوجه النحيل اللي يفكر بالهلال المزهزة اللي مغطي زرقة السما بالضي الوليد.. غمرتني المفاجأة بالفرحة ولاونس ولقيتني باقول للناس بدون إعداد – اسمحولي أقول لكن إن الليه دي استثنائية لأنه بيشرفها وينورها حضور محامي مصر العظيم الأستاذ أحمد نبيل الهلالي – وضجت القاعة بالتصفيق المتواصل لمدة تزيد على الثلاث دقائق – والأستاذ نبيل الهلالي في منتهى الارتباك! واللي شاف الأستاذ نبيل الهلالي في ساحات المحاكم لا يمكن يتصوره مرتبك ولو للحظة واحدة مهما واجه من مواقف صعبة أو مآزق محرجة.

وأنا الحقيقة أسعدني زماني ومنحني الاضطهاد السياسي شرف مزاملة هذا الإنسان الرائع عبد الناصر وما كانش لي شرف مزاملته لأن كنت لسه مجرد مواطن تافه مالوش أي اهتمامًات غير الكورة وقراية البخت وحل الكلمات المتقاطعة في صحافة مصر القومية.

والأستاذ أحمد نبيل الهلالي هو الابن الوحيد للمحامي العلم نجيب باشا الهلالي آخر رئيس الوزراء مصر المحروسة في العهد الملكي السابق وكان ممكن يشتغل في البيزنس ويبقى واحد من أغنى أغنياء العالم وكان ممكن يبقى الابن المدلل للباشا العظيم ويسافر لندن وباريس وروما يتفرج ع الدنيا ويستمتع بنساوين من كل الجنسيات في عروض الأزياء والحفلات التنكرية وغير التنكرية وكان ممكن وكان ممكن واتصور زي ما يحلالك إلا اختياره العجيب إلى دفع ثمنه من صحته وحريته وعدم المؤاخذة برستيج الطبقة اللي أنجبته.

أنا أعرف ناس فُقرا كُحِّيتي أبا عن جد أغتنوا وعملوهم من الشيوعية! ودول بسم الله ما شاء الله في الكلام والحنجوري بريند ما تعرفش ليه نبيل الهلالي نشن على منطقة الفقر والصمت في الشيوعية وراح لابد فيها!

وأنا الحقيقة محتار أقول مع الأسف الشديد ولا مع الخجل الشديد قبل أم أتكلم عن اللي جرى لهذا القديس العظيم في معتقلات زكريا محي الدين من تعذيب وإهانات بلغت منتهاها وهو مرمى على الأرض والعسكر بيدوسوا فيه بالجزم الضبيشي على باب معتقل أبو زعبل وهما مش عارفين طعبا إنهم بيدوسوا برجليهم الجسد النحيل اللي بيحتوي أطهر وجدان وأخطر قلب وأعظم روح في بر مصر المعشوقة حتى الموت من صابح الجسد اللي بيئن تحت وطء أقدامهم الغبية.

أنا من زمان وأنا محتار أكتب عن نبيل الهلالي منين؟ إلى أن أرتكب التليفزيون المصري واحدة من غلطات عمره وعرض فيلم غاندي محرر الهند العظيم.. يا سبحان الله أنا كنت متصور إن التطابق بين الشخصيتين محصور في مجال السيرة الذاتية والروح لكن لما انفرجت ع الفيلم اكتشفت إن الشبه واحد.. الوجه النحيل والابتسامة المضيئة والنظرة النفاذة العميقة وبمناسة الشكل حكى لي الصديق الدكتور سمير غطاس إنه كان مزامل نبيل الهلالي في زنزانة في سجن الاستئناف وأثناء ماكان الأستاذ نبيل بيقرأ في مجلة تايم الأمريكية كان سمير بيقرأ في كتاب وفوجئ بالأستاذ بيضحك بصوت مسموع ودي حالة نادرة بالنسبة لنبيل الهلالي ورفع سمير غطاس عينه عشان يلاقي نبيل بيشاور على صورة كلب على غلاف المجلة ويسأله:

- شبه مين ده؟

وحاول سمير غطاس يعمل إسقاطات سياسية على الموضوع لكنه فوجئ بالأستاذ نبيل الهلالي بيقول له:

- شبهي!

وفي أوضة ٩ بالعنبر الجديد بليمان أبو زعبل كنت باتشرف بمزاملة الأستاذ نبيل وكان النظام إن كل واحد من الزملا عليه يوم يقدم الأكل والشاي لباقي الزملا ويوم نبتشية نبيل الهلالي صعب علي وهو بيصب الشاي وإديه بترتعش وعمَّال يدلدق الشاي ع البلاط قلت له:

- ثبت إيدك يا بلبل لأني مش عايز أشوفك وانت بتمسح البلاط ضحك وقال لي:

- مش أحسن من أبويا الي كان بيمسح بلاط الملك!

ومكتب الأستاذ نبيل الهلالي المحامي العظيم لا يقبل التوكيل في القضايا المخلة بالشرف مهما كان العائد المادي.

وفي القضايا السياسية كانت مرافعات الأستاذ نبيل الهلالي متعة حقيقية بالنسبة للمتهمين والشهود وأعضاء هيئة المحكمة بما فيهم ممثل الإتهام.. أنا شفت بعيني وسمعت بودني رئيس المحكمة العسكرية اللي كان بيحاكمني بتهمة إهانة الرئيس السادات وهو بيقول للأستاذ نبيل:

- من فضلك يا أستاذ نبيل أرجوك تتكرم علينا بنسخة من المرافعة المجيدة دي لأننا كلنا تلاميذك برضه.

هذا ومازال محامي مصر العظيم الأستاذ أحمد نبيل الهلالي يمارس بإصرار وعناد هوايته في التصدي لظلم الإنسان لأخيه الإنسان منتصب القامة واضح لحجة بسيط العبارة والمظهر والسلوك.. مد الله في عمره ومتعه بكامل الصحة والسعادة.

وأنا أسف لعجزي عن وصف نبيل الهلالي لأنه ما يتوصفش.

ما تجيب بوسة

إيه رأيكو بقى إن الشعب المصري ده من النوع الدغان الكياد اللي ممكن يجيب لعدوك – اللهم احفظنا – داء السكتة ويعمل نفسه.. مش واخد باله.

العالم كله قايم على بعضه شرق وغرب وعمال يضرب يقلب واحنا هنا ودن من طين وودن من عجين! واللي عاجبه ع الكحل يتكحل واللي مش عاجبه يتفضل م البلد يرحل. والباب يا حبيبي يفوت الجمل بس ما تبقاش تقطع الجوابات!

يعني ما فيش حد في الدنيا اللي رواها النيل ما سمعش عن المجزرة القراشوللي اللي اتنصبت للخواجات الأمريكان وراح ضحيتها العشرات والمئات من الخواجات المتمترسين في قاعدة المرحوم الملك عبد العزيز بغرض – حلب ضخ النفط – ومن يوميها والدنيا قامت ولا قعدتش والنظام السعودي الشقيق يا حول الله يا ربي عمال يضرب أخماس في أسداس وأسباع في أتمان وما بقاش عارف له رأس من رجلين وبقى حاله يصعب ع الكافر اللي هو الرئيس كليمتوم المعجباني اللي مقموص ومضروب على قلبه من مصر بالقوي لأنها اتجرأت وعقدت بدون إذنه مؤتمر القمة العربي في قاهة المعز للي هي بيت العيلة لسائر أنواع العربان من فروع بني قطحان من قبل ما يبقى فيه أمريكا.. ولا أمريكان وحتى نهايات الأيام والأزمان.. وبيهددنا بسلامته بالعقوبات الرادعة الواجعة اللي حيكون أبسطها قطع عيش الخواجة المصري بطرس غالي وفرقعته من عمله في الأمم المتحدة ونسي إن الأرزاق والأعمار بإيد ربنا الي هو ساعة من عنده ترضي عبده.. عبده مين؟ ما اعرفش.

وصدق اللي قال – الفقي لما يسعد تيجي له سهرتين في ليلة – لسه ما خلصناش من سهرة الخواجة المعجباني إلا ودخلنا في سهرة النتن ياهو اللي من ساعة ما استلم الحكم في إسرائيل وهو لا على حامي ولا على بارد وضربة الدم ملوداه نوبة يقول لك دي مصر اشترت صواريخ سكود من كوريا والزم وحتما ومن كل بد إنها تقدم لنا تقرير وافي شافي نعرف منه عدد الصواريخ ونوعيتها حتستعمل في إيه وإزاي وإمتى!! وكأن اللي خلفوا أمه عينوه علينا وصي على آخر الزمن.. ولما ما حدش رد عليه ولا عبره في الجزمة القديمة ركبه ستين عفريت واللي طلع عليه إنه يبرطم ويهدد ويتوعد بسلاح الطيران الإسلائيلي اللي بسلامته مسميه ذراع إسرائيل الطويلة وكأنه لحق نسي الذراع الطويلة دي حطناها لهم فين في أكتوبر سنة ١٩٧٣.

وخُد عندك يا سيدي كما في روسيا اللي كان قيصرية وكانت امبراطورية وجار عليها الزمان والهوان.. شوية كلاب مسعورة وبيتخانقوا على كراسي السلطة من خلال مرسحية هزلية مسميينها الانتخابات الديمقراطية الي وطت وغطت على انتخابات مجلس الأنس تبعنا وتصدرت جدول دوري المهازل السياسية في مصر الحديثة واحنا يا عيني علينا هبطنا لدوري المظاليم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. ولا تنسى يا أخي في العروبة اجتماعات قمة الدول الصناعية السبع الكبرى اللي هما بلا قافية لصوص وقراصنة المواد الخام والثروات الطبيعية تبع الشعوب الفقيرة اللي هما بيحكموها وحيفضلوا يحكموها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ودي حاجة ما يعرفهاش مخلوق لأنها لسه في علم الغيب!

كل دا وأكتر من كده وبيجرى في العالم اللي احنا جزء منه والشعب المصري من اسكندرية لأسوان غرقان لشوشته ومشغول في ماتش الأهلي والزمالك وجون حسام حسن اللي قصم ظهر البعير!

طب بذمتك لو انت مطرحي مش كنت تقول للشعب المصري من فرط الدهشة والإعجاب.. ما تجيب بوسة؟.

قولوا لابوها

قولوا لابوها إن كان جعان يتعشى

وإن كان شبعان

فوق البلد يتمشى

دم الشرف بل المحارم غالي

لف العمامة

وانجعص.. يا خالي

دم الشرف

بل المحارم بمبي

حل العمامة

وانجعص يا عمي

عروستنا الحلوة يا ولاد.. جلوتها اللية والحارس الله.. ست العرايس اللي شرفت ناسها واللي لازم وحتمًا ومن كل بد ناسها كمان يزوقوها ويشوروها وعلى بيت العدل عدل.. يدوروها.

صحافة مصر المحروسة أم الرجالة والبنات لا يلزم لها وصاية من حد ولا تجوز عليها ولاية مخلوق.. ولادها الحلال اسم النبي حارسهم يملوا عين العاهرة. ويسدوا عين الشمس.

وهي بقى؟ شوف انت.. حبة عين أمها مصر من جوا.. وهي العزوة وهي الونس.. وهي النظر والأيد واللسان وهي المراية اللي لا يمكن تطلع العيبة ناقصة – زي زينب بنتي – كله ع المكشوف وعلى عينك يا تاجر واتفرج يا مواطن وشوف.

وهي سر أمها وبكريتها وحبيبتها وواخدة نفس طبعها الخالق الناطق – من أرادها بسوء.. قصمه الله –.

يعني بالبلدي الفصيح وعلى رأي المرحومة أمي يبقى ينشك في نني عينه من جوَّا كل من يبص لها ولا يضرب لها عين بوحاشة.. ويبقى يترمى دراعه جنبه كل من مد لها إيد الغدر بالشر والأذى.

دا احنا لسه يا دوب بنقول تاتا خطي العتبة. لحقتوا خفتوا من سرسوب النور اللي يا دوب بنمد خطوتنا على مداه.

ليه كده يا أصدقائي الوطاويط؟ وبعدين انتوا عارفين دي تبقى أم مين؟ أم العقاد والمازني وأم طه حسين ويعقوب صنوع وسيدي عبد الله النديم ورفاعة الطهطاوي وفريد أبو حديد وتوفيق الحكيم والست فاطمة اليوسف ومي زيادة ولطفي السيد ولويس عوض وحسين فوزي وزكي نجيب محمود والتابعي ومحمد مندور وصلاح جاهين وحجازي وصلاح عبد الصبور وحسن فؤاد وصلاح حافظ وجلال الدين الحمامصي ويوسف إدريس ونجيب محفوظ وهيكل باشا الكبير والزيات والشرقاوي وبيرم التونسي وبديع خيري اللي عملوا لنا وعلمونا ونوروا لنا ونورونا وخلونا نتجعص ونقول بالفم المليان – أدي احنا اهه يا دنيا – ودول اسم النبي حارسهم شوية من ولادها ولسه الدولاب مليان.. ليه كده يا أصدقائي الوطاويط.. عايزين تكتفوها وتغموا عنيها وتقطعوا لسانها عشان تسرقوا على راحتكو وع السكات!

ما تسرقوا ولا تولعوا بجاز.. حد قال لكم ما تسرقوش؟ أما انتوا صحيح حرامية رُزَلة.

وبعدين لا انتوا أول من سرقها ولا حتكونوا آخر.. دي بطن بقرة يابا واللي يحمل يشيل.

السيما ودمرتوها، التليفزيون وحقنتوه بالصديد وسائر جراثيم الأمراض المتوطنة والمستوردة.. المسرح وحزمني يا جوز عمتي، الإذاعة وبنسمعها دلوقتي من صوت إسرائيل من أورشليم القدس، كمان هاجمين ع الصحافة، طب احنا حيفضل لنا إيه بقى؟ التلاجه والبوتاجاز؟ خدوهم هما كمان.. خدكوا ربنا من إيد ورجل.

وصدقوني لو هويتوا ناحية الصحافة تاني مش حيبقى من صالحكو، لأن المسائل لو كتمت أكتر من كده حتطرشق وإذا طرشقت حتولع وإذا ولعت حتكونوا انتوا – أول حطبها –.

خليكو شاهدين ع الكلام ده يا مصريين.

أنا قلت اللي عندي وباكل من بيتنا – اللي يسمع حيسلم واللي ما يسمعش يبقى "يطلع تلاتة........ "الباقي معروف.